دفاع عن طفل آخر زمن

بقلم

نادية يوسف

الاخراج الفنى وتصميم الغلاف : ألبير جورجى

دفاع عن طفل
آخر زمن

مقدمة الكتاب

ما هو الطفل .. ؟

ما هى قدراته العقلية .. ؟

كيف يعيش الطفل عالم اليوم .. ؟

وكيف يستعد لاستقبال عالم الغد .. ؟

لماذا نلقى اللوم على أطفال اليوم ونفسر جموحهم الذهنى وشقاوتهم البدنية وتمردهم فى كل اتجاه .. بأنهم أطفال آخر زمن .. لأنه لا زمن يأتى ويرى فيه الطفل أكثر شقاوة وأكثر تمرداً وأكثر جنوحاً من طفل اليوم .

إننى فى هذه الدراسة المتنوعة عن كل ما يحيط بجوانب الطفل فى أسرته ومدرسته ومستقبله .. أحاول تلمس خطوات الطفل فى المدن المتحضرة التى لم تصلنا بعد لكى أضع يدى على ما يمكن التنبؤ به للطفل فى مصر وفى العالم العربى .

لم يعد غريباً أبداً فى المدن المتحضرة أن يحمل الطفل مفتاح باب شقته وأن يعود من مدرسته فيجد نفسه وحيداً يصنع طعامه ويقدم لنفسه ما تيسر من حاجاته .. فى انتظار عودة أحد الوالدين من عمله .

كما رأيت أن عالم الأطفال ليس محدوداً بالقدر الذى يتصوره البعض بأنه داخل المدرسة وداخل البيت يضاف إليهما مجموعة من الألعاب ومجموعة من الواجبات المدرسية لأن الجانب العاطفى الذى لا يكاد يشعر به أطفال المدن الكبرى .. فالذين حرموا عاطفة الأم نتيجة أى ظرف من الظروف .. فإن الأب عندئذ يقوم بدورين مزدوجين فهل ينجح فى هذه المهمة الشاقة .. بحيث يستطيع أن يقدم للمجتمع أبناء ناجحين . أما الأم التى تقف عقليتها حائلاً بينها وبين بناتها .. باعتبارهن طموحات أكثر من اللازم .. فإنها تسعى ـ دون أن تدرى ـ إلى خلق مناخ غير مناسب للتفاهم بين جيل جديد حائر من البنات وبين الأمهات .

إن هذا الكتاب يرد على كثير من التساؤلات .. ويضع العديد من الحلول .. ويجيب على ما يجيش فى النفس من خواطر ومواقف تصادف جيل الآباء والأمهات الذين يبنون جيلاً جديداً معاصراً وسط جو عاصف من التحديات .

إن الذين يقولون إن طفل اليوم هو طفل « آخر زمن » .. لا يدركون أبعاد الدور الذى تلعبه القدوة فى تثبيت قيماً عديدة من

أهمها قيمة المشاركة تلك القيم التى يحتاج إليها الطفل لكى ينجو من الحقد الذاتى المدمر .

إننا ننظر إلى أطفالنا وكأنهم حيوانات تحتاج فقط إلى الطعام والشراب والأجهزة العصرية .. وصار همنا الأكبر توفير هذه الأشياء لهم .. لقد أصبحت عيونهم زائغة ــ معنا ــ بين الفاترينات الملونة والشاشات الملونة .. فصاروا يتلمسون القدوة عند أشخاص لا يعرفونهم ولا يثقون فى وجودهم .

ويبقى بعد هذا الكتاب وقبله ــ إن الاهتمام بالطفل .. ككائن بشرى يحتاج إلى الراحة والأمان النفسى كما يحتاج إلى اللعب والتعلم كفرد له ملكاته الخاصة ومواهبه وقدراته التى أرهقت بحيث أصبح أقل سعادة وأقل طفولة من أطفال الأمس .. وصار هدفاً لاتهامات مختلفة .. أشهرها أنه طفل « آخر زمن » .

الاسكندرية ــ نادية يوسف

أطفال بالمراسلة

دعوة إنسانية لإنقاذ الطفولة فى العالم الثالث

.. يا آباء الأطفال فى مدن الأحلام .. اتحدوا من أجل رعاية أطفال العالم الثالث .. ليكن عند كل واحد منكم طفل إضافى يرعاه بالمراسلة .. وتربطك به علاقات الحب . بـ ٩ دولارات فقط يمكنك أن تصبح أباً أو أماً لطفل من أطفال الدول النامية .. ترعى شئونه الصحية والتعليمية والمستقبل .. من أجل ذلك كله كان إنشاء أول جمعية من نوعها فى العالم .. تفتح الطريق أمام الأطفال الفقراء فى العالم للحصول على العلم والمعرفة والكساء والطعام . كان صاحب الفكرة مراسل حربى انجليزى

لاحدى الصحف اليومية التى تصدر فى لندن .. اسمه « جون لا نجدون دافيز » .. إنها ليست وكالة تتبنى الأطفال للقيام بواجب رعايتهم .. ولكنها جمعية تدير برامج التنمية من خلال أطفال العالم الثالث .. فيكفى أن يقع اختيارك على طفل فى إحدى هذه الدول ـ ويمكن أن يتم هذا بواسطة الصور ـ حتى يتم تغيير وتطوير كل شيء حوله ..

.. إن أعضاء هذه الجمعية التى لا تعمل بالسياسة ولا تتبع أى طائفة .. جميعهم من الآباء يدفع كل منهم ٩ جنيهات شهرياً ليتبنى طفلاً بالمراسلة .. وهذا المبلغ هو رأس مال الجمعية الأساسى .. لقد أصبح عدد هؤلاء الآباء حتى الآن ٢٠٠/٠٠٠ (مائتى ألف أب وأم) معظمهم من استراليا وكندا وهولندا والولايات المتحدة .. وفى انجلترا وحدها يوجد حوالى ٢٠٠٠ ألفين من هؤلاء الآباء .. الذين يقومون بواجب رعاية أطفال العالم الثالث من خلال الرسائل والصور التى يتبادلونها بصورة وجدانية محببة إلى قلوبهم . ورغم ذلك فإن الجمعية تفخر بأن كل أربعة من خمسة من أعضائها يذهبون لزيارة أطفالهم مرة واحدة فى العمر .. فى محاولة للتعرف على مشروعاتها المستقبلية مع الأطفال الذين يولونهم بالرعاية عن بعد اللقاء الأول مع طفلتها فى احدى قرى أندونيسيا .



مشاعر اللقاء الأول

هذه تجربة أم بالمراسلة .. تحكى
مشاعر اللقاء الأول مع طفلتها
فى إحدى قرى أندونيسيا

.. إنها عارضة الأزياء الشهيرة « ماريا هيلين » .. التى تعيش كأشهر وأغنى عارضة أزياء فى انجلترا .. ولأنها زوجة للمصور المعروف « دافيد بيلى » .. فإن حياتها مستقرة تحسدها عليها الكثيرات من النساء فى العالم .. فمنزلها مؤسس على أحدث طراز .. ويحتل مساحة لا بأس بها فى أحد أحياء لندن الهادئة .. تقضى وقتها بين العمل والأصدقاء المقربين من أمثال جيرى هول ومايك جاجر .. عادة ما تقضى شهور الصيف والاجازات مع والدتها وشقيقتها فى هاواى .. حيث ولدت وقضت جزءاً من طفولتها .

بصور تحكى تطور حياتها أولاً بأول .. اكتفت ماريا بصور طفلتها بالمراسلة لعامين .. ولكنها قررت أن تذهب إلى « بارتينى » فى قريتها الاندونيسية لتراها على الطبيعة ..

وبالفعل طارت ماريا إلى جاكرتا مع ممثل من الجمعية ومصور صحفى ومحررة صحفية لتسجيل اللقاء ..

.. بعد ساعتين بالسيارات وصلت ماريا إلى « قرية سومبرلور » تصفها بقولها .. « إنها قرية صغيرة تتفرع من زقاق مترب على الطريق الرئيسى » .. وتصف مشاعرها أيضاً فتقول .. » طوال الطريق كنت قلقة بشأن لقائى ببارتينى .. طفلتى بالمراسلة .. كنت أتساءل باستمرار كيف سأبدو لها يا ترى ! .. هل سنجد ما نتحدث حوله ؟ كيف ستنظر إلينا هى وأطفال القرية ؟ .. ونحمل أجندات فى أيدينا وكاميرات على أكتافنا .. ولكن خوفى مالبث أن تلاشى عندما اقتربنا من القرية .. فلم نجد سوى الترحيب الحار والابتسامات الدائمة على وجوه أهالى القرية .. كما لو كانت الأميرة ديانا هى التى ستزور القرية » .

وتضيف ماريا .. « إن كل أهالى القرية تطوعوا لتوصيلنا إلى منزل بارتينى .. وهناك سرعان ما تعرفت على والدها السيد « وانرتو » وكنت قد رأيته فى الصور التى أرسلتها إلى ابنته بارتينى .. أقصد ابنتى بالمراسلة .



فى البداية استولت على مشاعر الدهشة الممزوجة بالإعجاب .. الكلام مازال لماريا .. عارضة الأزياء التى تلتقى بطفلتها بالمراسلة لأول مرة .. وتعود لتتساءل «« .. كم هى ظالمة تلك الصور إن بارتينى أجمل منها بكثير .. لقد اعتقدت لفترة طويلة أنها أجمل طفلة فى القرية .. لكننى بمرور الوقت .. اكتشفت كم كنت فخورة بها إلى الدرجة التى كنت أراها أجمل فتاة ليس فى أندونيسيا فقط . ولكن فى العالم كله .. » .

الأمومة تتحدث :

« .. الأمومة داخل ماريا تتحدث .. من الضرورى أن يرتبط الطفل بشخص ما يشعر أنه مسئول عنه .. وهو الشعور الذى يدفعه إلى بذل الجهد والنجاح والتفوق . شكراً للجمعية . لقد كان منزل بارتينى .. طفلتى الاندونيسية .. أجمل منازل القرية بالفعل .. أعيد بناؤه بحيث أصبحت حوائطه من الحجارة وحوله حديقة صغيرة ولكنها جميلة ومليئة بالزهور .. أما فى الداخل فالمنزل شديد النظافة .. جيد التهوية .. وبه نافذتان واسعتان من خشب البامبو .. يتخللهما ضوء الشمس بحرية .. وبه أيضاً بارفان ـ حاجز ـ يفصل ما بين حجرتى ا النوم والمطبخ .. لقد تكلفت التحسينات التى أدخلت على منزل بارتينى وأسرتها ١٧٥ جنيهاً استرلينياً فقط .. وقال لى ممثل الجمعية أيضاً : إن الجمعية تحاول النهوض بأحوال الأسرة منذ أصبحت بارتينى طفلتى بالمراسلة .. فقد ابتاعوا للأسرة عنزتين تدران

.. هكذا كانت حياة «ماريا هيلين» .. ولكن إعلاناً صغيراً نشرته جمعية صنداى تايمز يوماً ما .. لفت نظرها .. وفكرت فيه طويلاً .. الإعلان عبارة عن صورة لطفل بعيون واسعة وابتسامة عريضة .. وتحت الصورة هذه الكلمات (بـ ٩ جنيهات استرلينية فقط .. تدفعها كل شهر .. تستطيع أن تمنح السعادة الدائمة لطفل من أطفال العالم الثالث ..) .

إننى أحب الأطفال .. وهذا لا يكفى .. المفروض ان يتعدى هذا الحب حدود الابتسام لهم من بعيد حتى يصل إلى مرحلة الاهتمام الشديد بهم وإلى الشعور بالمسئولية الكاملة نحوهم . قالت ماريا لنفسها :

والحق أنه داخل كل منا وتر حساس .. يكفى أن تدق عليه ولو لمرة واحدة لتتحرك العديد من المشاعر .. وهذا بالضبط ما حدث لماريا عندما سألتها إحدى صديقاتها .. إن كانت ترغب فى أن تصبح واحدة من الأمهات اللائى يمنحن الرعاية والحب عن طيب خاطر لواحد من أطفال العالم النامى .. لم تتردد ماريا مطلقاً .. وبالفعل وقع اختيارها على طفلة من اندونيسيا تدعى « بارتينى » وعمرها الآن ١٢ عاماً .. تعيش « بارتينى » فى إحدى قرى اندونيسيا المتواضعة .. ومع بداية تبنى ماريا لها منذ عامين تغيرت حياتها بالكامل .. التحقت بالتعليم .. ثم قامت الجمعية بتغيير البيئة من حولها .. وأثناء هذين العامين كانت بارتينى تبعث إلى ماريا بخطابات منتظمة مصحوبة

اللبن للأطفال .. ومن ناحية أخرى فإن ممثلى الجمعية يساعدون أهالى القرية .. ليس بإعطائهم معونات مالية .. ولكن بتعليمهم كيف يساعدون أنفسهم ؟..

.. تعرفت على شقيق بارتينى ووالدها ووالدتها .. أما بارتينى طفلتى .. فقد كانت تنظر إلى بابتسامة خجولة من حين لآخر .. ربما يكون سبب خجلها هو هذه المساحيق التى وضعتها على وجهها للمرة الأولى تحية لى فيما يبدو .. » .

.. عندما سألت ماريا طفلتها بالمراسلة بارتينى عما تنوى عمله بعد انتهائها من دراستها .. قالت لها .. سوف أذهب إلى المدرسة العليا .. ثم ماذا بعد ذلك ؟ .. ردت بارتينى بسرعة .. أريد أن أصبح معلمة أطفال ..

« .. والغريب أن أهالى القرية جميعاً وخاصة النساء والأطفال كانوا يتبعوننا إلى منزل بارتينى . ويبدو أن الفتاة وأسرتها كانت تعرف هذه الحقيقة .. فأعدت ثلاث بنشات خشبية للجلوس عليها .. بينما وقفت هى بجوار الباب للترحيب بالزوار .

.. فى هذه الحالة كان استخدام القاموس ضرورة ملحة .. ورغم أننا كنا نحمله فى أيدينا إلا أن مفعوله تضاءل إلى جوار الابتسامة الصادقة النابعة من القلب .. لقد فعلت الكثير من أجل التفاهم بينى وبين أطفال القرية .. وبسرعة قدمت الأسرة للزوار الموز والفول

السودانى واللحم المشوى وعصير الفواكه .. » ولكن ماريا لم تستطع أن تأكل والعيون من حولها تنظر إليها ..

بعد ذلك قالت لبارتينى .. « لقد احضرت هدايا من لندن .. أرجو أن تحوز رضاءك » ثم شرعت ماريا فى التقاطها من الحقيبة واحدة وراء الأخرى .. « اتسعت عينا الطفلة ببريق محبب .. وأمسكت بالهدايا .. وكانت عبارة عن أقلام حبر ورصاص وكتب وأقلام للتلوين من أجلها .. وبدلة لشقيقها الرضيع وقطعتين من الـ تى شيرت من هاواى لشقيقها الثانى ـ ٨ سنوات ـ وهاندباج أو شنطة يد لوالدتها .. وخلية نحل .. احضرت توا من مصنع للخشب .. وعلبتين كبيرتين من الحلوى .. واحدة لبارتينى وأسرتها والثانية لأطفال القرية وما أن أعطينا العلبة للصغار الأعزاء حتى اختفوا وهم يجرون وراء بعضهم البعض .. وبعد فترة قصيرة عادوا وعلى وجوههم الكثير من البهجة والمرح .. » .

.. وقدمت ماريا هيلين الهدايا .. وكل من حولها يضحك ويتكلم .. إلاهى .. كانت تفكر .. فى السعادة التى اجتاحت كيان هؤلاء الصغار من أجل أشياء تعد صغيرة وتافهة بالنسبة لها .. كانت تفكر فى لقائها بطفلتها المحبوبة لأول مرة .. وقالت إنها سوف تتذكر هذه اللحظة لفترة طويلة قادمة .. وعندما طلب ممثل الجمعية من بارتينى أن تكتب لماريا هيلين كلمة فى كراستها الجديدة .. كتبت بارتينى بخط متعرج « ـ مرحباً ماريا ـ لقد تأثرت كثيراً حتى كدت

أبكى » .. ثم خرجت ماريا بينما أصدقاؤها الصغار يلتفون حولها متشابكى الأذرع وكأنهم يحتفلون بها ..

ليس هناك جدال فى أن هذا اليوم هو يوم بارتينى .. فكرت ماريا هيلين .. ولكن كان كل أهل قرية « سومبرلور » يشاركونها سعادتها .. وطبعاً كان من المستحيل أن تلتقط صورة منفردة لها مع بارتينى وحدها أو مع عائلتها .. لأن الكل كان يتزاحم حولها وكأنهم عائلتها الكبيرة .

وقال لنا ممثل الجمعية .. إن حياة الأسرة بالكامل قد تغيرت منذ أصبحت ماريا أماً لبارتينى ومسئولة عن رعايتها .. الأب « وانرتو » يزرع الأرز وفول الصويا من أجل الأسرة ، الجد يكسب قليلاً من عمله فى المزارع .. أما الأم « تيكونيم » ففى استطاعتها أن تكسب دخلاً من عملها فى الحقول بعد أن تكبر رضيعتها قليلاً .. ولكن ياللغرابة .. أن دخل الأسرة كلها لا يزيد عن عشرة جنيهات .. تصرف معظمها على التغذية والطعام .. ورغم ذلك فإن الأسرة الآن تدخر ٤٠٠٠ روبية من هذا الدخل البسيط .

ويؤكد « جوس هول » المدير المسئول عن الجمعية ، وهو أمريكى الجنسية ، يبلغ من العمر ٥٥ عاماً .. أن خطة الجمعية تتلخص ليس فى إعطاء معونات مالية .. ولكنها فقد تساعد الناس على أن يساعدوا أنفسهم .. أما النقود التى يرسلها الآباء بالمراسلة .. فإنها عادة ما تصرف على تعليم الطفل وتكملة دراسته .. أما الجمعية

من جانبها فإنها تقوم بتطوير وتحسين مستوى المعيشة فى القرية . فأحياناً تقوم ببناء مغسل جديد .. وأحياناً أخرى تساعد الأهالى على إنتاج محاصيل جديدة .. وعلى الرغم من أن الجمعية تعمل بالاتفاق مع الحكومة الاندونيسية والهيئات الاجتماعية فى جاكرتا .. فإنها لا تتلقى دعماً مالياً من أى جهة ، وخلال الأسبوع الذى قضيناه فى زيارة الطفلة بارتيني رأينا مشروعات القرى الأخرى مثل بناء خزانات للمياه حتى تستطيع القرية أن تجد المياه للاغتسال والاستحمام أثناء مواسم الجفاف .. وقد تعلم أهالى هذه القرى كيف يساعدون أنفسهم .. فهناك أسر تقوم بتربية الدجاج وانتاج البيض .. ومزارع خاصة .. وأخرى تصنع الحقائب من الجلد وثالثة تصنع الزى الاندونيسى الجميل .. إنها نماذج ناجحة ولاشك .. ولكن الخطة تقوم فى الجانب الآخر بتنفيذ مشروعات صغيرة مثل ادخال الكهرباء ومواقد الغاز لمساعدة الأطفال على أداء واجباتهم المدرسية .. أو بناء مراحيض لكل وحدة لخدمة أهالى القرى .

.. وبالمصادفة المحضة وصل محقق صحفى أثناء زيارة ماريا لطفلتها بارتيني إلى « سومبرلور » لعمل تحقيق صحفى عن الجمعية .. وتساءل عما إذا كان هناك مناطق أخرى فى العالم تحتاج إلى مساعدة الجمعية أكثر من أندونيسيا .. وكانت إجابة ريتشارد تويتز مساعد الجمعية .. أن هناك مناطق عديدة فى العالم مثل الهند وأجزاء أخرى من افريقيا .. تعانى من الفقر وسوء التغذية حيث تكون الفرصة متاحة

أمام التدرن الرئوى للهجوم والقضاء على أكبر عدد من الأطفال فى هذه المناطق .

المشكلة الأساسية :

..والمشكلة الأساسية التى تواجه رسالة الجمعية ليست فى تعليم الأطفال هناك .. ولكن فى توعيتهم بالطرق الصحية لاستخدام مياه الأنهار .. والمؤسف أنهم حتى الآن يستخدمون مياه الأنهار للتبول والاستحمام فى وقت معاً .. وهنا تبرز المشكلة ليست فى جانبها الاقتصادى والاجتماعى فقط .. ولكن فى أنها مشكلة مأساوية فى المقام الأول .

وعلى أى حال كما يقول ممثل الجمعية .. إن سياسة الخطوة خطوة .. تلك التى تتبعها الجمعية حتى الآن فى المناطق التى توجد فيها .. مازالت تحتاج إلى مناقشة .. إن النجاح الذى حققته هذه السياسة حتى وقتنا هذا .. لا يعنى مسئوليتها فى ضرورة الاستماع إلى آراء أعضائها من الآباء بالمراسلة . لقد أجمعوا جميعاً وعلى رأسهم ميشيل أسبل ـ مريم ستوبارد ـ مارى تيلور ـ مور بارونز ـ ايوارت بيجز .. أن درجة الاحتواء لم تصل بعد إلا إلى الأطفال .. وهذا فى نظرهم لا يكفى .. لأن الاحتواء المفروض أن يمتد ليشمل الأسرة كلها .. بل والحى أو القرية كلها إذا أمكن ذلك . والحق أنها المغامرة الكبرى التى تواجه مشروعات الجمعية .. فى كل مناطق التخلف فى العالم الثالث .

.. تصوروا مثلاً طفلة فى الثانية عشرة من عمرها مثل بارتينى لم تر مركباً فى حياتها .. بدا هذا واضحاً عندما اصطحبت معها شقيقها ـ ٨ سنوات ـ وبعض أطفال القرية .. بارتينى وقفت طويلاً أمام البحيرة .. فى البداية اعتقدت ماريا .. أن الطفلة بارتينى مأخوذة بشكل البحيرة وكمية المياه بها .. ولكن ميجوتو شقيق بارتينى أوضح لها الأمر فقال .. إنها مأخوذة بالقارب الذى يسبح فوق مياه البحيرة .. إنها مثل كل أطفال القرية لم تر أى قارب من قبل .. بل إنها ـ يؤكد ميجوتو ـ المرة الأولى التى تخرج فيها من ـ سومبر لور ـ قريتنا .

.. وطوال الرحلة داخل حديقة الحيوانات كانت علامات الدهشة والانبهار على ملامح الأطفال .. حتى أن ماريا قررت أن تأخذهم مرة أخرى إلى الحديقة .. حتى ترى الفرحة مرة أخرى على وجوههم .

.. زار الأطفال مع بارتينى وماريا أحد المعارض هناك .. ثم اتجه الجميع إلى الفندق الذى تنزل به ماريا .. وهناك .. تقول ماريا : «كانت الفرصة لخبرة جديدة يعايشها الأطفال لأول مرة أيضاً .. ذلك إنهم جميعاً وبلا استثناء قد شبكوا أيديهم فوق صدورهم خوفاً من الهواء البارد الذى يحدثه جهاز التكييف الموجود بالفندق ..

صعدنا مع الأطفال فى المصعد الخاص بالفندق .. وطبعاً كانت المرة الأولى التى يستقلون فيها مصعداً .. حتى أنهم كانوا فى منتهى

الاستغراب والتأثر كما لو كانوا قد ركبوا صاروخ فضاء .. وعندما تباعد الأطفال واحدا بعد الآخر .. عرفنا أن يوما كاملا من الخيال الممتع قد انتهى .. » .

قبل يوم الرحيل قامت ماريا هينين بزيارة خاصة لبارتيني لتقول لها وداعاً .. كانت لحظة حزينة للطرفين معاً .. ولكنها لم تكن نهاية لعلاقة ماريا بهذه الطفلة وأسرتها .. وسألت ماريا « جوس هول » مدير الجمعية فى أندونيسيا عن نوع الهدايا التى يمكن أن تقدمها للأسرة .. « تناقشنا طويلاً ثم قررنا شراء حظيرة كبيرة لتربية الدواجن .. لأننا سنكون كمن ضرب عصفورين بحجر واحد .. إنها بمثابة طعام للأسرة إلى جانب كونها يمكن أن تدر ربحاً معقولاً على أفرادها » .. وبالفعل تركت ماريا للأسرة أدوات وأخشاب ومسامير لصنع الحظيرة بالإضافة إلى عشرين جنيها لشراء الدواجن .

تؤكد ماريا أثناء رحلة العودة .. أن ٩ جنيهات استرلينية شهرياً .. ليست بمبلغ كبير بالنسبة لعديد من الناس .. ولكن عندما نرى ماذا يمكن أن تصنع هذه الجنيهات القليلة من أشياء ذات نفع لأناس عديدين .. عندئذ .. سوف ندرك بالفعل كم كنا أنانيين .. طالما فكرنا فى أنفسنا طويلاً .. ولكننا نتجاهل دوماً أن الاهتمام بالآخرين يلقى ببذور السعادة فى قلوب هؤلاء الأطفال .. وقلوبنا نحن أيضاً .. وعن نفسى .. تهمس ماريا : « إن جلب السعادة لطفلتى بارتيني بالمراسلة .. هى السلام الحقيقى الذى أحس به الآن بكل تأكيد » .

مطلوب من كل الآباء أن يقرأوا هذا المقال

مستقبل الأطفال
في يد العرائس والأراجوز والشطرنج !

للعب في حياة الصغير قيمة كبيرة .. فهو يدخل الخصب والتنوع في حياته عامة .. وينفس عن توتره الجسمي والانفعالي .. كما يمكن أن يتعلم منه شيئاً جديداً عن نفسه أولاً ، وعن العالم المحيط به .. بالإضافة إلى أن اللعب يعتبر مفتاحاً هاماً للكبار يمكن من خلاله مساعدة الطفل على اكتشاف القدرات الكامنة فيه أو اجتياز أزمة أو بوادر اضطراب نفسي في شخصيته .. ويعد اللعب في حياة الطفل مرحلة هامة يمكن بعدها أن يبلغ مستوى من النضج العقلي والانفعالي .. تماماً كما يحدث في الحيوانات الراقية .. حيث يكون اللعب فيها وسيلة للتعلم .. فالحِملان تُناطح في لعبها وهي في ذلك

تبدو كما لو كانت تقوم بالتمرين على العمل الجدى فى المستقبل .. والقطط تطارد بعضها أثناء اللعب وتقوم بحركات تشبه التى تقوم بها فى المستقبل لاصطياد فريستها .. وأمهات البجع تزج بفراخها قهراً إلى الماء لأول مرة لتلعب ثم تتعلم العوم .. والأسود أيضاً تروض أشبالها وتدربهم على اقتناص الحمل من المراعى القريبة .. وفرخ النسر أيضاً يلعب بتحريك عضلات جناحيه داخل العش .. ثم يدفع إلى خارج العش تحت اشراف أبويه .. اللذين يشجعانه على الطيران بطيئاً بالقرب منهما .. حتى لا يتسرب إليه اليأس .. وتارة يحركان أجنحتهما ليقلدهما الصغير .. وإذا وجدا أن صغيرهما على وشك السقوط مال أحدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ودعمه وقاية له من شر الفشل والسقوط ..

واللعب بالنسبة للطفل ليس لعباً .. وإنما هو عمل جدى هام بالنسبة له .. لأنه الميدان الوحيد الذى يعبر فيه عن نفسه بحرية .. ويتفاعل مع غيره من الأطفال .. ويتصرف معهم ويختبر قوته ..

والطفل فى كل مراحل عمره .. يعتمد غالباً على اللعب كوسيلة للتعلم .. وهو من أفضل الطرق التى يكتشف بها الطفل الحياة ويكتشف خبرات جديدة عن نفسه وعن غيره من الأطفال .. فيبدأ فى تعديل سلوكه عن طريق المحاولة والخطأ أكثر من استغلاله لبصيرته .. وذلك لعدم نمو ادراكه إلى الدرجة التى تمكنه من فهم العلاقات الوظيفية بين الأشياء فى بيئته .. وكذلك لعجزه اللغوى



وعدم قدرته على تكوين المعانى .. فمثلا قد يلجأ الطفل فى لحظة إذا ما وجد صندوقاً مغلقاً إلى محاولات حتى يستطيع فتح باب الصندوق .. فإذا نجح فى ذلك وشعر بقدرته على الخروج قد يحاول فتح صندوق آخر أو يغلق نفس الصندوق ليحاول فتحه من جديد .. ولكن هذه المرة يضع يده مباشرة على المكان الذى يفتح منه الصندوق ويحاول استعماله .. وقد يكرر ذلك عدة مرات حتى يتعلم فتح الصندوق ..

والطفل الرضيع .. على الرغم من اعتماده على والديه لفترة طويلة .. إلا أنه يتعلم من لعبه معهم ، والمثيرات التى يتعرض لها من خلالهم .. تعديل سلوكه وبالتالى إلى تعلم أنماط معينة من السلوك .. وهذه العملية تعتبر بداية التطبيع الاجتماعى .. لأن الطفل يشعر بالرضا إذا أشبعت حاجاته أثناء اللعب .. وبالضيق إذا أحبطت هذه الحاجات ..

ولكل مرحلة من مراحل عمر الطفل لعبها وألعابها الخاصة .. ولكل نوع من أنواع اللعب وظيفة فى عمليات النمو النفسى للطفل .. ولهذا كانت دراسة اللعب من أهم ما يشغل علماء التربية .. فعن طريقه يمكن أن تفهم الاحتياجات النفسية للطفل .. وعندما تفهم هذه الحاجات فانهم يستطيعون تعليمه أو علاجه ..

ومن حسن الحظ .. أنه قد تغير موقف الآباء من اللعب فى السنوات الأخيرة .. مدركين بذلك أهمية اللعب للأطفال .. وأن

حرمان الطفل من اللعب لا يؤدى إلى قتل النزعة إلى اللعب وإنماء روح الجد بل ربما يؤدى إلى سعى حثيث نحوه .. كما يؤدى أيضاً إلى شغف دائم واشتياق شديد إليه .. وقد يؤدى إلى اضطرابات سلوكية شديدة عند الطفل .. فالأطفال سوف يلعبون رضينا أم لم نرض .. فاللعب أمر طبيعى عندهم .. والأفضل لنا أن يلعب الطفل تحت إشرافنا بدلاً من أن يلعب بعيداً عن أعيننا وبغير اشراف الكبار من الأسرة .

شـروط اللـعب المنظـم

عند اختيارنا للعب الطفل وألعابه لابد وأن يتم ذلك حسب شروط محددة منها أن يؤدى اللعب إلى نشاط جسم الطفل .. وإثارة فكره .. إتاحة الفرصة أمام الطفل للعب مع غيره من الأطفال والكبار أيضاً لتنمية ميله إلى التعارف .. توفير فرص اللعب الابتكارى .. اتاحة الفرصة أمام الطفل ليفعل ما يريد فى حدود المعقول ـ وباختياره الخاص ـ توفير مكان مناسب يمكن للطفل أن يلعب فيه أمناً مع غيره أو بمفرده داخل البيت أو خارجه .

ولكن مع ذلك فيجب أن يترك الأطفال لكى يظهروا مع لعبهم قدرة كبيرة على الابتكار والابداع .. ويظهروا كثيراً من الذكاء فى رسم الخطط لأنواع من النشاط ينفذونها بأنفسهم .. ولا يتدخل الكبار إلاّ إذا احتاجوا للتوجيه أو المساعدة لتنظيم اللعب فقط .. واكتشاف نواحى القوة والضعف فيهم وأيضاً فى اكتشاف المواهب

والميول التى تعينهم على الاندماج فى المجتمع الحديث بكل تعقيداته ـ تعليم الطفل على حسن التصرف وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاته .. إتاحة ألوان من اللعب ذات هدف تساعده على أن يتعلم شيئاً جديداً .. تيسير أنواع كثيرة مختلفة من المواد والاهتمامات للطفل كى يفاضل بينها .. تدريب الطفل على احترام اللعب سواء أكان لعبه أو لعب غيره ..

أنواع اللعب

من اللعب المستحسنة للرضيع العرائس والشخاشيخ ـ كرات المطاط أو البلاستيك ـ الأجراس . وينبغى أن تكون لعبة سهلة التنظيف .. لا يدخل فى تركيبها أى طلاء لأنه يحتوى على الرصاص كما يجب ألا تكون ذات حواف حادة أو أطراف مدببة ..

والطفل الأكبر سناً .. الذى يبلغ من العمر عاماً إلى ثلاثة أعوام .. يريد أشياء يمكنه أن يكون بها شيئاً جديداً .. ويشعر بسعادة كبيرة وهو يصنع أشياء تتسم بالابتكار حين يلعب ببضع أوان أو بصندوق من الورق المقوى .. أكثر مما يفعل إذا أعطى لعباً ميكانيكية غالية الثمن .. وقد يلعب وحده بعض الوقت ولكنه يريد من حين لآخر شخصاً آخر يلعب معه الكرة أو يقذفها أو يصغى إليه وهو يقلد حركة القراءة .. ويتلخص دور الكبار هنا فى أن يكونوا قريبين من الطفل .. بغير تدخل إلا إذا بدت عليه امارات التعب والضيق .. والأطفال فى هذا السن أيضاً .. يستمتعون بجر الكراسى كالقطارات

أو الصعود فوقها للقيام بدور السائق .. أو تمثيل دور الأب والأم ونسج القصص الحية حولها .. ولكن هناك أوقات لابد من اصطحاب الصغير إلى أماكن خالية حيث اللعب أكثر حرية .. وخصوصاً فى الأطفال الذين يعانون ضيق المساكن .. وفى هذه المرحلة أيضاً تكون الفرصة مناسبة للأب أو الأم لكى يقدما له كتباً مصورة جميلة تساعده على تعلم الألوان والأشياء وأشكالها ووظائفها .. وأكثر ما يستمتع به اللعب البسيطة التى تنمى قدرته على التخيل والابتكار . وعادة يبدأ الطفل فى هذه السن تعلم عادة اللعب مع الأطفال الآخرين .. وإذا كان فى الأسرة أطفال آخرون فإن الطفل يصل إلى هذه المرحلة أسرع مما يصل إليها إذا كان يقضى كل وقته مع الكبار .. ويتعلم الصغير قواعد اللعب الجماعى عن طريق المحاولة والخطأ والقدرة على التقليد . وأيضاً بترقبه امكانية العقوبة التى يفرضها عليه الأطفال المشتركين معه فى اللعب إذا أخل بقوانين اللعب الجماعى ..

واللعب الجماعى يسهل قيام علاقات اجتماعية ناضجة .. وهو ما لا يتوفر عادة فى اللعب الانفرادى .. لأن اللعب الجماعى يتيح للطفل فرصة التصرف على سجيته دون تكلف بالإضافة إلى تقبل واحترام قوانين الجماعة الصغيرة .. والطفل يصل إلى حالة من التوازن بين الأخذ والعطاء بين الاعتماد على النفس والاعتماد على الغير كما يقول « هوبز » .. وذلك بفضل تعرفه على سلوك الأطفال الآخرين فى الجماعة وتقليده لتصرفاتهم .. إذن فالجماعة هنا تنمى وعى الطفل

وإدراكه بما تسوغه المجموعة من نشاط وأعمال .. فيبدأ الطفل فى تعديل سلوكه على ضوء استجابات الأطفال الآخرين فى الجماعة .. كما يمنح اللعب الجماعى فرصة للطفل لكى يتعلم من الآخرين طريقة استخدام مختلف المواد للاشتراك فى مجالات أنشطة متنوعة ومن ثم تزداد حصيلة الطفل من المعلومات والمعارف .. كذلك ينمى اللعب الجماعى روح التنافس بين الأطفال .. وهو شعور يجب تنميته بين الزملاء حتى يؤدى إلى تقليل التنافس بين الإخوة فى المنازل ..

ومن الضرورى أن يشعر الطفل فى هذه السن الصغيرة .. أن لعبه ملك له وحده .. وأن من حقه أن يقرر بنفسه أى اللعب يريد أن يشرك الآخرين فيها .. وبالتدريج .. سوف يدرك قيمة المشاركة والتعاون .. ومن ثم يسهل عليه التخلى عن الأنانية .. واشراك الأطفال الآخرين فى ألعابه الخاصة ..

وتلجأ كثير من الدول الأوربية وبعض المدارس هنا فى مصر إلى استخدام المسرح والتمثيل لتنمية الجوانب المرغوب فيها لدى الطفل .. بالاضافة إلى تقديم المناهج ممسرحة داخل الفصول الدراسية وبواسطة تلاميذ كل فرقة .. والجدير بالذكر أن هذا الأسلوب التربوى لا يحتاج إلى أى امكانيات سوى إلى المربى المدرب المتفهم لعالم الطفل المؤمن بدور الأجيال الجديدة فى بناء مستقبل العالم .. وهناك أنواع عديدة من التمثيل منها التمثيل التلقائى .. ومنها مسرح العرائس ومنها المسرح التعليمى .. ومسرحيات تقدم


1910
1985

خصيصاً للأطفال .. وكل نوع منها له قواعده وأهدافه وأصول ممارسته .. ولكننا نعلم التأثير العظيم الذى كان يحدثه الأراجوز على الأطفال فى الأحياء الشعبية .. لأنه كان نقلة خيالية وأسطورية فى أذهان الأطفال فى القرية أيضاً .. للذين كانت تبهرهم الألوان والأصوات وتستغرقهم الحدوتة والنكتة .. عن طريق استعراض الأراجوز لحياة قريبة من حياة هؤلاء الأطفال ..

وفى كل أنواع اللعب .. يحتاج الطفل إلى تشجيعه على الصبر فى اكتساب مهارات اللعب .. فليس من السهل دائماً أن يظل يتدرب على السباحة بطريقة معينة حتى يتقنها ويتمكن من ضبط تنفسه .. ولكن لذة المنافسة والمتعة والفوز هى التى تساعد الصبى على الاقتناع بقيمة المثابرة .

أهمية المعسكرات الجماعية

وحول أهمية المعسكرات الجماعية للأطفال .. توصلت الدكتورة سهام بدر استاذة علم النفس بكلية التربية الرياضية بالاسكندرية إلى نتائج تؤكد تأثير المعسكرات الجماعية على تنمية شخصية الأطفال .. من حيث استجابتهم السريعة للتعاون والمشاركة والحب والاعتماد على النفس وحب الاستطلاع والصبر والشعور بالمسئولية .. وتنمية روح المبادأة والشجاعة والجرأة وكل الصفات الايجابية .. بعد عشرة أيام قضتها الدكتورة سهام مع أطفال معسكر نادى اسبورتنج ..



واللعب يمكن أن يكون أداة لاكتشاف ميول الطفل ومواهبه فى وقت مبكر .. كما يمكن أن يكون وسيلة لاكتساب مهارة أو معرفة معينة .. فالطفل الذى يبدى رغبة فى أن يقضى أوقات فراغه فى الرسم ينبغى السماح له بأن يعبر عن نفسه فى رسوماته تعبيراً حراً .. فلا ننتقد زرقة الحشيش فى رسمه الملون .. ولاكون الرجل أكبر من المنزل الذى يقف أمامه لأن انطباعات الطفل عن العالم الذى يحيط به .. ومقدرته على تعبير عن هذه الانطباعات تختلفان اختلافاً كبيراً عنها عند الكبار .. لذلك يجب تركه يرسم بحرية ويعبر عن أحاسيسه الكامنة فى ثنايا نفسه .. وما علينا إلا أن ننمى هذه الموهبة فى نفوس أطفالنا .. وأن نفسح الطريق أمامهم من أجل اكتمالها على أسس تربوية سليمة .. وذلك باشراف أعمال الطفل فى المعارض المحلية والعالمية وتوفير أدوات الرسوم له ..

والواقع أن أنواعاً متعددة من لعب الأطفال هى عبارة عن نافذة يمكن أن نطل منها على نفوسهم وعن طريقها نستطيع معرفة ما يريده الطفل .. والمؤثرات الاجتماعية والنفسية التى تؤثر فى تشكيل شخصيته .. فمثلا لعبة الشطرنج التى يلعبها الأطفال والصبية والكبار أيضاً تمثل لوناً من ألوان النشاط الفكرى .. فهى تمثل حرباً بين جيشين يجرى فيها كل ما يقع فى الحرب من هجوم ودفاع وخدعة ومبادرة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهدنة وصلح .. ولكنها حرب سلمية بين فكرين .. صراع فكرى يسهم فيه الذكاء والدهاء

والفن والعلم .. وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم .. فقامت فيها أندية وجمعيات كما ألفوا حولها الكتب وأسست فى بعض الدول جامعات وطنية ترعى شئون الذين يلعبون الشطرنج .. وتنظم لهم المسابقات وتمنحهم الجوائز والمكافآت .. كما يوجد اتحاد دول الشطرنج فى باريس .

أما قراءة القصص فتقوى شعور الطفل بالنظام فى الحياة وتوسع فهمه لعالمه الصغير بمن فيه من الناس .. كما تقدم للطفل القدوة . وهى فى عصرنا الحالى أناس ناجحون بارزون فى عالم الرياضة والترفيه أو الفن أو العلوم .. وربما كانت القدوة شخصية تاريخية .. وعن طريق القدوة يتعلم المثل العليا التى يبنى عليها مستقبل حياته ويصبح أكثر قدرة على العطاء .. وهنا يمكن استثمار هذه الرغبة تقليد القدوة الموجودة لدى الطفل وتنميتها بصورة تمكنه من أن يساهم مساهمة حقيقية فى الحياة من حوله .. إن الأطفال يستطيعون عمل أشياء كثيرة إذا وجدوا التشجيع المناسب .. يمكن بها أن يكتسبوا الشعور بالمسئولية .

هواية جمع الطوابع

إن كثيراً من الناس يتساءلون مثلاً .. ما الذى تقدمه هواية جمع طوابع البريد لمن يمارسها بكل هذا الحب والشغف ؟ إن الطفل الذى يهوى جمع طوابع البريد لا يمارسها بدافع المتعة فقط .. ولكنها وسيلة هامة من وسائل تنمية الذوق الفنى وزيادة المعرفة والرغبة

فى التنظيم والدقة والابتكار أيضاً .. ويتسم ذهن الهاوى عادة بالدقة والسرعة والانتاج المثمر .. ويعتبر الفرنسيون أول من اهتم بهذه الهواية .. عندما جمع « هيربين » الفرنسى كل ما كان يصل اليه من طوابع .. وحدث أن لاقى اهتمامه ترحيباً من بعض أصدقائه فأسسوا جمعية أسموها « صديق الطوابع » ثم انتشرت هذه الهواية انتشاراً سريعاً ومذهلاً فى العالم حتى إنه لم يعد بالامكان احصاء العدد الحقيقى لهواة الطوابع الذين أصبحوا يعدون بالملايين .. وتعد هواية جمع الطوابع إحدى الوسائل التى تكتسب منها الثقافة .. فإلى جانب أنها متعة ومعرفة وفائدة تدفعنا إلى الترتيب والتبويب والتدقيق والانتباه .. والملاحظة تحث الهاوى على تتبع ما يحمله الطابع من صور وأفكار .. ومن خلاله يمكن أن يتعرف على بلادنا وما تحمله من خيرات وما تضمه من طبيعة جميلة وآثار خالدة .. اننا نستطيع أن نعرف أى قطر من أقطار العالم من خلال طوابعه .. نتعرف إلى جغرافيته وتاريخه وسكانه عاداتهم وتقاليدهم .. كما أن الطوابع تعكس مقدار تقدم البلد فى مجالات العلم والثقافة والرياضة والاقتصاد .. بالاضافة إلى أن الطوابع تسجل بأمانة انتصارات الشعوب ومسيراتها التاريخية .. ومن الممكن أن تكون مرجعاً لقصة الإنسان فى أى مكان من العالم ..

ان لعب الطفل هو فى الواقع محاولة لتجربة الحياة .. وعن طريق اللعب يتعلم كيف ينمو خطوة خطوة متفهماً العالم الذى يحيط

به .. ويبدأ فى معرفة وسائل تعامله مع هذا العالم .. فلعب الطفل الذى يحاول فيه أن يقوم بدور الأب أو الأم يمكن أن يستغل لإرساء أفكار معينة حول مفهوم الأسرة وواجب كل من الآباء والأمهات .. كما يمكن أن يتدرب من خلال اللعب على كيفية التعبير عن نفسه وتنمية خياله والسيطرة على حركته وتنسيق حديثه وتنظيم آرائه .. فضلاً عن معرفته كيف ينصت عندما يراد منه الانصات ؟ وكيف يتعامل مع الآخرين ويعمل معهم ؟ .. ان اللعب ينمى فى الطفل روح المشاركة والتسامح وتعديل سلوكه حتى يستطيع أن يعيش مع الآخرين .. ومن الممكن أن يقوم الكبار بتأصيل هذه القيم كلها فى الطفل أثناء اللعب .

وشخصية الطفل فى نهاية الأمر ليست إلا محصلة لما تمرس به خلال اللعب والتمثيل إذا ما توافرت له الفرص لممارستها فى طفولته .. ومن ثم تتكون كل ما تتمتع به الشخصية من قدرات أهمها القدرة على الانهماك فى العمل والصدق فيه .. وهما معاً قاعدتا القدرة على التركيز .. ثم يأتى الابداع والابتكار ..

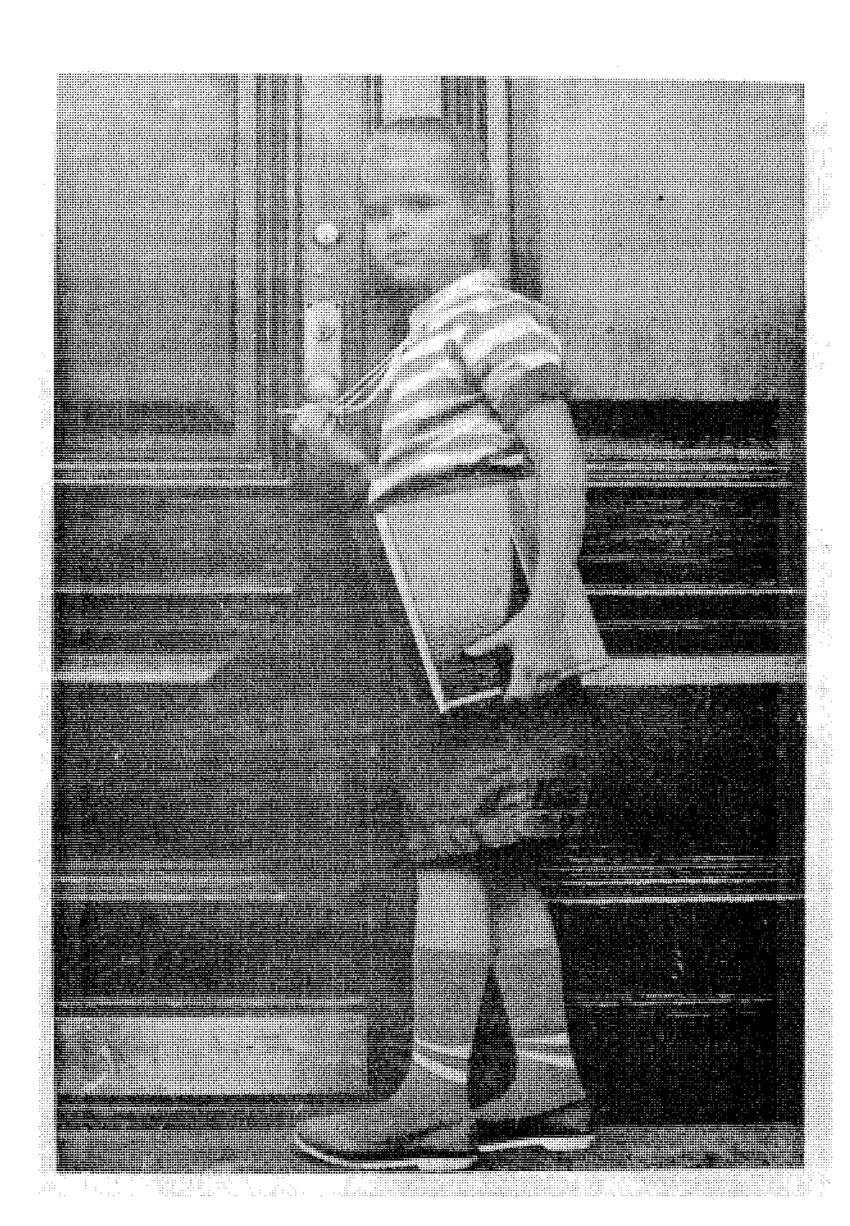
أطفال مفتاح الشقة!

خطر اجتماعي جديد يهدد العالم الحديث

عرفت كل الأسر فى جميع أنحاء العالم ..
ظاهرة جديدة .. بدت ملامحها مع خروج المرأة
إلى العمل .. ونقصد بها السماح لأطفال
المدارس « بحمل مفتاح باب الشقة » حتى
يستطيعوا الدخول إلى المنزل والجلوس فيه لمدد
تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات لحين عودة
أحد الوالدين من العمل ..

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل يدعو إلى التفكير فيها حتى أن بعض الولايات الأمريكية استحدثت تسمية جديدة لهؤلاء الأطفال وهى « طفل مفتاح الشقة » .. وهذه التسمية إن دلت على شئ فهى تدل على انتشار هذا النوع من الأطفال .. فى جميع أنحاء العالم .. مما دعا إحدى المجلات النسائية فى أمريكا وهى مجلة « المرأة الجديدة » إلى بحثها ومناقشة كل المنغصات والمتاعب التى يتعرض لها هؤلاء الأطفال ..

تقول المجلة .. إن مفتاح الشقة فى الزمن القديم .. كان من المحرمات التى يجب اخفاؤها عن أعين الأطفال .. وحتى النسخة الزائدة منه كنا نجتهد فى أن نخفيها ربما تحت وسادة فى حجرة نومنا أو فوق رف بعيد فى الحمام .. ولكن مفتاح الشقة فقد مكانته فى السنوات الأخيرة .. وأصبح من المناظر المألوفة .. رؤية مفتاح الشقة مربوطاً بسلسلة معدنية أو قطعة من الدوبارة المتينة وملفوفاً حول رقبة أطفال المدارس فيما بين السابعة فما فوقها .. وذلك زيادة فى الحذر .. وحتى لا يتوه مفتاح الشقة فى زحمة الكتب والأدوات المدرسية ..



نماذج للمشكلة

وإليك عدد من نماذج « أطفال مفتاح الشقة » :

هيثر .. طفلة فى العاشرة .. من هؤلاء اللاتى تعمل أمهاتهن خارج المنزل ..

تقول : إننى أعود إلى المنزل مبكرة عن والدىّ بما يوازى أربع ساعات تقريباً .. لذلك فقد سمحت لى أمى أن أحمل مفتاح الشقة حول رقبتى منذ عامين فقط .. أحياناً أحس بنوع من الملل لأن المنظر الذى أراه يومياً وأنا أدير مفتاح الشقة فى « كالون الباب » لا يتغير .. لا أحد يستقبلنى بترحيب سوى كلبى الصغير الذى يهز ذيله طرباً عندما يرانى .. بفتور ألقى الكتب على منضدة صغيرة موجودة بالصالة .. ثم أخلع ملابس المدرسة .. لأتجه رأساً إلى المطبخ .. يا إلٰهى حكاية كل يوم .. حوض ملئ بالأطباق .. على أن أغسلها كلها أولاً .. ثم أقوم باعداد الطعام لوالدى المتعبين .. أحياناً يكون لدى الوقت الكافى لمداعبة كلبى الصغير .. جبراً لخاطره فقط .. أحرص على ألا تستغرق مداعبته وقتاً طويلاً .. فأمرر ضفيرتى الشقراوين على أنفه .. وأتركه لأنجز أعمال المنزل .. وعلى شفتى أغنية أحبها كثيراً .. كنت قد سمعتها من أعضاء فريق الكشافة بالمدرسة .

أقول لكم الحق ـ الكلام ما زال لهيثر .. طفلة العاشرة ـ أنا لا أريد أن أضيع وقتى فى اللعب .. ليس لأننى لا أحبه .. ولكننى أريد أن يشعر والدى بالانبساط والسرور عندما يعودان من عملهما .. فمنظر البيت المرتب والأطباق المغسولة .. والطعام المعد .. يشعرهما بالفخر .. وأنا أحس به من نظرتهما إلىَّ ..

وهيثر .. « طفلة مفتاح الشقة » .. تستطيع أن تعد كل أنواع الطعام من اللحم « الرستو » إلى المكرونة الاسباجتى .. وتفضل أن تطهو طعام الأسرة بطريقة جديدة كل يوم .. وخصوصا « الهامبورجر » والدجاج المحمر مع الصلصة البنية ..

ولكن هيثر .. ليست النموذج الشائع بين أطفال « مفتاح الشقة » .. فهناك « بوبى » .. ٨ سنوات .. هو أيضاً يعود من المدرسة إلى منزل خال تماماً .. ولكنه لا يشارك هيثر كل صفاتها من حيث الاعتماد على النفس والتعاون مع والديها .. بصدق شديد يصف مشاعره :

إننى أحس بالخوف الشديد عندما أعود إلى البيت حتى وصول أمى إليه بعد ثلاث ساعات كاملة ..

وبوبى يلقى بحقيبة المدرسة على مائدة المطبخ .. ثم يدير أزرار التليفزيون .. ويرتمى على مقعد أمامه .. ثم يغير القنوات ثم يعود لإغلاق الجهاز .. ليذهب إلى المطبخ .. ليضع كتبه وكراساته على المنضدة .. كما لو كان يستذكر بالفعل .. ثم لا يلبث أن يتسلل إلى

البدروم حيث يظل هناك وأذناه مع مفتاح الباب .. حتى يحضر أحد والديه .. فيجرى إلى المطبخ ويتظاهر باستذكار دروسه .. ! !

والمشكلة ليست مشكلة هيثر أو بوبى وحدهما .. ولكنها مشكلة ملايين الأطفال فيما بين السادسة والثالثة عشرة .. انهم يظلون بدون رعاية والديهم لفترات طويلة .. لقد عرفوا جميعاً مكان النسخة الزائدة من مفتاح الباب .. وبموافقة والديهم .. عرف هذا المفتاح كيف يأخذ طريقه إلى رقبة هؤلاء الصغار دون استعداد نفسى لهذه المهمة الخطرة ..

إن بعض هؤلاء الأطفال مثل « هيثر » وهم عدد قليل جداً .. استطاع بتدريب منذ الصغر على تقدير المسئولية والاعتماد على النفس .. بل إن غياب والديها أعطى فرصة للتدريب على بعض مسئوليات الأسرة وأعبائها .. ولكن أطفالاً آخرين أمثال بوبى يشعرون طوال الوقت .. بالخوف أو فى أحسن الأحوال بالوحدة والإهمال من جانب والديهم ..

وفى لقاء مع أكثر من طفل من « أطفال مفتاح الشقة » اكتشفت « لانيت لونج » وهى أستاذة التربية بكلية « لويولا » الأمريكية أن هؤلاء الأطفال .. يخافون بشكل عام من الظلام والنار والإهمال أيضاً .. والمؤسف حقاً أن كل هؤلاء الأطفال يحاولون إخفاء مشاعرهم عن والديهم .. متظاهرين بالشجاعة الكاذبة .. فمثلا بوبى يقول : « عندما تصل أمى أستطيع أن أعرف ذلك من صوت إدارة

المفتاح فى « طبلة » الباب .. أتسلل على أطراف أصابعى إلى المطبخ .. وأتظاهر بالاستذكار .. » .

لماذا يفعل بوبى ذلك ؟ ..

يقول هو : « أسمع أمى تردد عبارة كل صباح .. فتقول وهى على مائدة الإفطار .. تبتلع بضع لقيمات وهى واقفة .. إن رئيسى سيفصلنى اليوم بسبب التأخير » .. وعندما تعود من عملها .. تحكى لأبى ماذا فعل بها رئيسها فى العمل .. حتى أننى كثيراً ما أتخيل رئيسها هذا .. إنسان وحشى وأعجب من شجاعة أمى .. لأنها تذهب إلى العمل كل يوم رغم أن هناك وحشاً يهددها كل يوم بالفصل ..

ويتساءل بوبى .. هل بعد كل الذى تتحمله أمى من أجلنا .. تأتى إلى المنزل لأحكى لها عن خوف من وجودى بالمنزل بمفردى ؟.. لا أستطيع وخاصة أنها تشعر دائماً بالذنب ناحيتى .. فتقول لى قبل أن تنزل كل صباح : أنا حزينة لأننى سأتركك وحدك بالمنزل ثلاث ساعات .. وحزينة أكثر لأننى سأذهب إلى العمل رغم أننى .

والعكس تماماً .. يحدث مع هيثر .. إن والدتها ليست مطمئنة فقط لكونها أعطت المفتاح لابنتها .. لكنها دائماً تردد .. على مسمع من أفراد أسرتها وخاصة هيثر .. ماذا تم فى العمل من تقدير الرؤساء لها وإعجاب زملائها بها .. ولكن هيثر بفطنتها .. تعرف أن والديها تصادفهم أياماً حلوة وأخرى ليست على ما يرام .. تماماً مثلما يحدث فى

مدرستها .. أما زوج أمها .. فدائماً يقول : إن الأيام لابد وأن تأتى يوماً بما نشتهى .

إن هيثر ـ فى رأيى ـ تعد نموذجاً فريداً لأطفال المدارس الذين يحملون مفاتيح لمنازلهم .. إنها نموذج لا يتكرر .. ذلك لأن معظم الأطفال يشعرون بحنق شديد تجاه هذا المفتاح الذى يلتف حول رقبتهم .. إنهم يلجأون إلى طريق ليست جيدة تماماً .. مع شلة من الأصدقاء .. أو أنهم فى أحسن الأحوال يقفون بلا هدف فى الشوارع الرئيسية ...أكثر من هذا فإنهم يقعون فريسة لعوامل خارجية منها تعرضهم الدائم للانحرافات الملخصة فى أمرين : إما تعاطى أنواع المخدرات أو المعاناة النفسية المتنوعة .. وتعد اتلانتا وبرمنجهام وميتشجان من أكثر الولايات التى يتعرض فيها الأطفال لحوادث مختلفة فى أعمار مختلفة .. ولسوء الحظ .. أن هذه الحالات لا تتحسن بمرور الوقت ..

المفتاح وعدم الأمان

إن التقارير المطولة .. تقول إن ٢٠ ٪ من هؤلاء الأطفال يحملون فى صدورهم مشاعر الخوف .. وفى بعض الحالات يحول عدد من هؤلاء الأطفال وخصوصاً صغار السن إلى العيادة النفسية .. لقد أفضى أحدهم إلى طبيبه المعالج .. بكل ما يؤرقه من مشاعر مضطربة .. عبر عنها أبلغ تعبير حين قال : إن أمى تتركنى مع أختى

الأكبر .. إنها تفترض أنه يقوم برعايتى أثناء غيابها .. ولكنه مشغول دائماً بتدريبات «كرة السلة» .. وحتى لو ذهبت إليه فى النادى لأقول له إننى خائف من وجودى بالمنزل وحدى .. ينهرنى قائلاً : إنك صبى فى السابعة من عمرك .. كيف تخاف ؟

لذلك .. فانه من الطبيعى .. أن الأغلبية العظمى من الأطباء والخبراء النفسيين .. يقفون ضد هذه الظاهرة .. ويؤكدون أن التفاف المفتاح بسلسلة حول رقبة الصغير .. يخلق نوعاً من عدم الأمان .. كما يشجع على العزلة التى تعوق الطفل عن نموه الاجتماعى السليم .. ولكن الأمر ليس بهذا الحسم فى كل الأحوال .. إن هذه الظاهرة يمكن أن يكون لها من الجوانب الايجابية أكثر من السلبية .. فهى تخلق من الطفل شخصاً يعتمد عليه .. وعلى كل حال فان تقبل الطفل لوجوده بمفرده فى المنزل يعتمد كثيراً على سن الطفل .. ونوعية الأطراف المحيطين به .. ودرجة نموه النفسى والاجتماعى .. وعلى سبيل المثال .. فان طفل الثالثة عشرة .. قد يكتسب من وجوده بمفرده خبرات نافعة .. تفيده فى نضجه العاطفى ونمو شخصيته .. ولكن ابن الثامنة .. اعتقد أنه لن يكون مستعداً للاستفادة من هذه الخبرات .

والمهم فى كل هذا .. هو نوع العمل الذى يكلف به الطفل حسب قدراته وسنوات عمره .. فاذا كان فوق هذه القدرات حتما سيفشل الطفل .. أما إذا كان مناسباً لها فان النجاح سيكون حليفه .. وسيدعم هذا النجاح ثقته بنفسه .

إن هذه الظاهرة .. ترتبط أساساً بظروف كل طفل على حدة ..
إن هيثر .. النموذج الفريد للأطفال الذين يحملون مفتاح الشقة تساعد والديها على انجاح نظام « مفتاح الشقة » .. بحيث لا يمثل بالنسبة لها أى مشكلة .. فمثلاً نرى هيثر غير مسموح لها بالرد على جرس الباب .. عندما يكون الأبوين بالخارج .. كما أنه غير مسموح لها أن تستقبل زواراً حتى لو كانوا من صديقاتها بالمدرسة .. وبالمثل فانها لا تستطيع الخروج للعب فى النادى حتى يأتى أبواها من الخارج .

ورغم أنها قوانين صارمة بالنسبة لطفلة مثل هيثر .. إلا أن الفتاة تعرف أن هذه الممنوعات وضعت خصيصاً لحمايتها .. وهى تقول مؤكدة : إلى جانب ما أقوم به من أعمال المنزل والواجبات المدرسية .. فأنا أقضى ما تبقى من وقت فى التريكو والبرودريه والكورشيه وأحياناً انشغل فى قراءة كتاب حتى يعود أحد والدى ..

إن موقف هيثر الفتاة النموذجية .. لا يمنع أبواها من الشعور بالذنب .. لأنها كثيرة ما تهرع إلى الجيران الموثوق بهم .. عندما ينقطع التيار الكهربى من المنزل .. أو تسمع صوت المطر والرعد ..

وعلى العكس من ذلك .. فان أسرة بوبى .. يعيشون وسط جيران من الغرباء .. انهم لا يعرفون أسماءهم فحسب .. ولكن وجوههم أيضاً غير معروفة تماماً لهم .. بالإضافة إلى أن المنطقة التى يقطن فيها بوبى .. تعانى نسبة عالية من الجرائم .. انها الحقيقة التى ترعب والدة بوبى .. وتعتبرها السبب فى مخاوف طفلها ..

الوحـدة القاتـلة

إنه أمر مرعب حقاً .. تقول والدة بوبى : ولكن ماذا أفعل وأنا مشغولة تماماً .. بمشكلة عدم انسجامى مع العمل لدرجة أننى لا أستطيع أن أتعهد مخاوف بوبى .. اننى أتجنب حتى مجرد سؤاله أسئلة صريحة عما يفعل عندما لا أكون بالمنزل .. كما أن ميزانيتنا لا تسمح باحضار « بيبى سيتر » للجلوس معه .. لأننا نريد شراء أشياء كثيرة فى المنزل .. مثل غسالة أتوماتيكية للأطباق .. إن بوبى رغم كل شئ من الأطفال المحظوظين .. لا يشبه أطفالاً كثيرين على الأقل ، فمخاوفه ننظر إليها بعين الاعتبار ..

وتقول طفلة لمفتاح الشقة « سابقة » وعمرها الآن ٢٨ سنة .. عندما كنت أعود من المدرسة إلى المنزل الخالى .. أشعر أننى يائسة .. لقد كنت فى الخامسة عندما قررت أمى أن تعمل نصف الوقت . كجليسة للأطفال .. بينما أجلس أنا مع جدتى فى المنزل .. وكم كنت أشعر بالغيرة الشديدة .. لمجرد إحساسى بأن أمى تداعب طفلة أخرى فى بيت آخر .. بينما أجلس أنا فى انتظار حضورها كل يوم .. ولكن عندما تغير العمل بعد ذلك إلى ممرضة فى المستشفى ثم سكرتيرة .. خفت مشاعر الغيرة إلى حد كبير لتحل محلها مشاعر الوحدة القاتلة .. لأن أمى تغيب عن البيت طوال اليوم .. وعندما كانت كاندى ـ

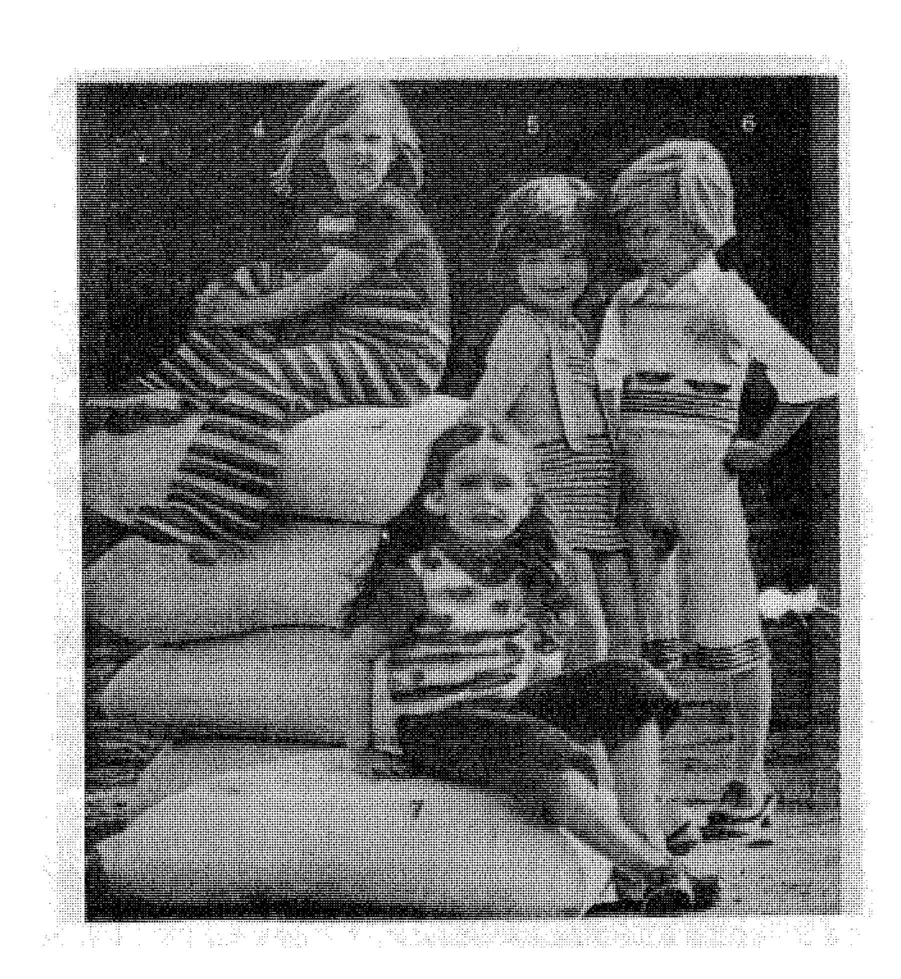
وهذا هو اسمها ـ فى التاسعة .. ماتت جدتها التى كانت تقوم بدور « البيبى سيتر » وتصف كاندى مشاعرها قائلة : كنت ارتعد من مجرد وجودى بالمنزل بمفردى خوفاً من ظهور شبح جدتى .. لأن موتها كان صدمة قاسية لى .. أيضاً كانت وفاتها أول تجربة لى مع فكرة الموت .. لم أكن أعرف كيف أتقبل فكرة اختفائها أو أتلاءم معها .. وعلى سبيل المثال عندما كنت أريد الذهاب إلى الحمام .. كنت أمسك نفسى بالساعات لأننى قد تعودت أن أذهب إليه مع جدتى العزيزة ..

الصراحة فى المناقشة

وعلى كل حال .. ومهما كان الأمر .. فإن هذه حال الأطفال الذين ينتمون لآباء من طبقة اجتماعية متوسطة .. يكدح فيها الأبوان لكسب العيش وزيادة دخلهما الشهرى .

والملاحظ أنه فى بعض المناطق يستطيع الأطفال أن يبقوا فى المدارس حتى عودة الأب أو الأم من أعمالهم لاصطحابهم .. وفى مناطق أخرى .. تقوم الشركات باعداد مكان يذهب إليه الأبناء بعد انتهاء اليوم الدراسى .. يقوم بالإشراف عليه الموظفون والموظفات بالتناوب ..

ولكن فى معظم الحالات نرى أطفالاً يعودون لمساكنهم عقب الدراسة .



معنى ذلك أن نظام مفتاح الشقة أصبح ضرورة .. ولأنه كذلك فلا بد لكل أبوين .. كما تقترح « لى سوللك » الخبيرة السيكولوجية أن يناقشا الأمر بكل صراحة مع الصغير .. ولابد من معرفة ما إذا كان الطفل مستعداً لقبول هذا المفتاح أم لا .. ولابد من أن يفهم الطفل بطريق غير مباشر .. أنه ليس عيباً أن يطلب جليسة للأطفال للجلوس معه .. وإذا طلب ذلك منك فلا تشعريه بأنه لا يحس بالمسئولية .. ولا يعتمد عليه أبداً .. ولكن قولى له : انه أمر طبيعى فى مثل سنك .

أما إذا تأكدت أن طفلك قادر على الجلوس بمفرده لحين عودتك بدون أية مشاكل نفسية أو غيرها .. فلابد من وضع قواعد ثابتة ومتفق عليها لحمايته حتى تعودين .. وحيث تكون الفرصة متاحة أمامك لتنمية شخصيته وزيادة قدراته ونضوج عواطفه ..

الحب المفقود

بين الأمهات والجيل الجديد من البنات !

.. الأم والبنت .. الأصل والصورة .. كيف خلقت الأم جيلا فى صمت المعاناة .. وامتلأ فمها بعبارات الحب رغم ذلك ؟ .. ولماذا ازدحمت السبل تحت قدمى البنت وصولاً إلى حب مستحيل .. ونجاح غير مؤكد .. لتتحول الكلمات على لسانها إلى طلقات نارية .. أو إلى لحظات بكاء ودوار ؟ ! ..

.. وعلى الرغم من انتشار هذه الظاهرة فى معظم أنحاء العالم .. جيل الأمهات .. وجيل البنات .. فإن المتفرجين لازالوا يجلسون على الحياد السلبى .. يؤيدون رفض البنات المطلق لكل ما هو عادى

وتقليدى .. فى عبارة متمردة .. « نحن لا نقلد .. ولا وصاية لأحد علينا .. ولسنا أمهاتنا .. » .

.. لقد زرعت هذه العبارة بذور الفوضى فى دولاب الاستقرار العائلى .. ذلك لأن جيل البنات مشبع بالرفض من أجل الرفض والتكرارية والنمطية .. فى محاولة لتحقيق حلم مستقبلى ذى مناخ خاص جداً ..

.. إن كثيراً من تحليلات هذه المواقف .. لم تصل بنا إلى نتائج ذات قيمة مؤثرة .. ولكن الأمل فى تفهم نتائج هذه الدراسة الجادة .. التى قامت بها مؤخراً .. البروفسيرة الخبيرة فى علم النفس .. روزلاند ــ س ــ بيرنيت .. الباحثة بمركز ولسلى بالولايات المتحدة الأمريكية .. ولها عدة دراسات سيكولوجية حول الحب والعمل والحياة عند المرأة الحديثة ..

تقول روزلاند : « عندما تأتى إلى امرأة فى العيادة النفسية لا أسمع سوى عبارة واحدة .. لا أريد أن أكون أمى .. لم لا أكون نفسى .. لماذا يريد لى زوجى وأولادى أن أكون صورة طبق الأصل من أمى ؟.. » .

عـــذاب الاختيار

والحق.. نحن نظلم المرأة الحديثة عندما نطلب منها أن تكون أمها .. لا لشئ إلا لأنها تختلف عنها تماماً .. فقد حصلت على قسط

كبير أو صغير من التعليم .. تتزوج فى سن متأخرة إلى حد ما .. وربما لا تتزوج على الإطلاق .. تصمم على الانفصال عن زوجها عندما تستحيل معه الحياة .. على العكس من الأم التى تتحمل كل سيئات الزوج والزواج حتى يكبر الأطفال ..

لقد أصبحت المرأة الحديثة .. تمثل بالفعل ٤٠ ٪ من قوة العمل فى جميع أنحاء العالم .. وهى لذلك تلهث فى محاولة التوفيق بين أعبائها المتعددة .. مشغولة دائماً .. ولكنها تئن من وطأة الفراغ الداخلى لأن مشاغلها لا تملأ عليها حياتها .. إنها تريد أن تعيش حياة ذات إطار غير تقليدى .. ترفض من أجله أن تكون أمها .. وهذا الرفض يحدث تصادماً نفسياً بين الأم وابنتها .. وهو فى الواقع تصادم بين جيلين من النساء فى أمس الحاجة إلى أن يعيشا سوياً فى سلام فى مواجهة كل الصعوبات ..

وتفسر روزلاند : « إن المرأة التى تعمل خارج البيت وداخله .. أوقعت نفسها فى حيرة وافترسها الشعور بالضياع .. والرغبة فى تأكيد الذات .. وعدم القدرة على الاختيار فى مواجهة قوى ظاهرة أو خفية .. دأبت على فرض سطوتها ومفاهيمها التى ترى المرأة أنها تقليدية ومختلفة ..

لقد حققت طموحات متعددة .. ولكن رغبتها فى أن تكون أنثى رغم كل الانجازات .. لازالت تشغل بالها ..

وهى بين هذا وذاك .. تتعذب فى محاولة للاختيار بين حياة تختارها بنفسها .. وحياة عادية مطبقة على الأغلبية .. إنها تعرف ماذا تريد .. ولكنها غير متأكدة تماماً إنها تريد ذلك .. والنتيجة هذه الحيرة النفسية التى تعانيها .

وهل يمكن حل هذه المعادلة ؟..

تقول روزلاند : « بالطبع نعم .. بأن نعيد تشكيل حياتنا من جديد على أساس أن نتحمل نحن النساء المسئولية كاملة من أجل تحقيق سعادتنا .. يملؤنا الشعور بأننا لسنا أمهاتنا .. ولكننا يمكن أن نحيا كنساء كاملات .. بمعنى أن تتخير المرأة النموذج الذى يناسب أنوثتها ... فإذا كان من حق المرأة فى العالم .. أن تسير فى حياتها على نمط اختارته هى بنفسها .. فإنها لا تملك شيئاً إزاء إصرار أجهزة الاعلام على تأكيد صورة الرجل كنموذج للإيجابية والقدرة على التحمل .. وتأكيد صورة المرأة كنموذج للإذعان والسلبية والابتعاد عن المناقشة .. الأمر الذى أدى إلى ظهور نموذج المرأة التى تتحدد شخصيتها طبقاً لأبعاد سيكولوجية معينة تحتاج إلى تفسير تصرفاتها السلوكية .. ليس فقط فى ضوء الأطر الفكرية العامة .. ولكن أيضاً فى ضوء التاريخ ، كما ظهر نموذج المرأة .. التى ترفض الزواج طلباً للحياة الآمنة .. أو تحت ضغط العرف السائد .. ونموذج الفتاة التى ترفض أن تعامل على أنها صيد يرمى إلى الرجل لاندا له .. ونموذج المرأة المتزوجة التى تريد التخلص من قيود الزواج ..



.. والمؤسف أن كل نموذج يتمسك بموقفه رغم تعرضه للآلام والصورة تبدو هكذا .. إذا لم تقتنع البنت بهذا الإطار « التقليدى » .. فإنها ستواجه موقف تحدى الصورة العامة للمرأة كما يدركها أفراد المجتمع .. وسوف يكون عليها أن تدفع الثمن الاجتماعى الذى يرفضه تحدى ما هو مقبول اجتماعياً .. أما إذا لم يكن فى مقدورها تحمل هذا الثمن .. فإننا نأخذ أشكالاً أخرى من الرفض .. منها طلب الطلاق أو القسوة على الأولاد .. أو الاستقلال المادى .. إلخ ... والغريب .. أن هذه الفئة تجذب إليها أعداداً جديدة يوماً بعد يوم .. فى نفس الوقت .. تعتقد أنها تعوض ما فاتها وتستمتع بحياة أسرية مثالية يوماً ما .. وعندما تفشل فى تحقيق ذلك .. تلقى بكل اللوم على المجتمع .. وعلى والدتها أيضاً .. « فلولا استكانة والدتى .. وخضوعها التام لأبى .. لما وصلت أنا إلى هذه الحالة » .

.. والحق أن الأم ليست مذنبة تماماً فى ترسب هذه العقدة عند ابنتها .. ولكنها ـ أى الأم ـ عاشت عصرها .. لم تكن لتفعل غير ذلك .. ولكنها فى مواجهة البنت التى أضربت عن الزواج مثلا تعيش حياة كلها أسى على الأيام الضائعة .. بل إنها تنظر إلى ابنتها على أنها من عالم جديد وغريب يختلف تماماً عن عالمها .. لأن هذه الأم الطيبة لم تعرف طابور الاختيارات التى تنتظر ابنتها .. تتعلم أولاً .. أو تتزوج .. أو تظل بدون زواج .. وبالتالى فهى لا تقدر على فهم مشاعر البنت مهما حاولت .. وأيضاً لا تستطيع مد يد العون لها .. لأنها

لا تفهم مثلاً . كيف تؤجل البنت زواجها .. وتضيع أكثر من فرصة من أجل الحصول على درجة علمية متقدمة .. لا تفهم مثلا كيف تؤجر امرأة أخرى ـ لو تزوجت ـ للعناية بطفلها وهى خارج المنزل تعتنى بأشياء أخرى .. لا تفهم لماذا تصمم على الطلاق مثلا رغم أن أطفالها مازالوا يحتاجون لرعايتها .. وتحت ضغط هذه الأفكار التى تتصارع داخلها .. تشعر الأم فى قرارة نفسها أنها بلا نفع حقيقى .. تراجع نفسها دوماً .. تنقدها بشدة .. تنبش فى دفاترها القديمة ربما تستطيع أن تخفف من قلقها على ابنتها .. وتتعجب .. كيف ستقوم البنت بالاختيار بين كل هذه الأشياء وبمفردها .. بينما هى لم تكن لتستطيع شراء شئ من الخارج .. بدون إذن الزوج ومصاحبته أيضاً .. وتتذكر الأم .. أيامها الأولى عند الزواج .. مؤكدة أنها لم تكن مهيأة له بالمعارف الكافية .. وظلت على جهلها فترة طويلة بعد الزواج .. وتتباهى بأنها لم تعرف شيئاً عن الرضاعة الصناعية .. بالرغم من أنها أنجبت عدداً كبيراً من الأطفال فى حين تستمد ابنتها الشابة كل معلوماتها من المدرسة والتليفزيون والسينما والصديقات أيضاً .. وتنجب فى المستشفى وترضع أطفالها لبناً صناعياً .. اعتقاداً منها أن هذا الأسلوب هو الأنسب .. كما أنها تركت عملها لتربية الطفل وتنوى أن تبحث عن عمل آخر .. عندما تسمح الظروف بذلك .. وتريد أن تقتنى سيارة خاصة بها ..

نمـاذج مـن الحـياة

.. ولنأخذ مثلاً حالة « أليس » ٣٤ سنة .. كنـموذج للمرأة الحديثة العاملة متزوجة ولها طفلة واحدة .. كانت « أليس » تعمل حتى اليوم الأخير قبل ولادة طفلها .. عادت إلى العمل بعد الولادة مباشرة .. تاركة الطفلة مع مربية تعيش معها بتشجيع من زميلاتها فى العمل .. كانت تقول : كيف أستسلم لروتين الحياة المنزلية ؟ .. لا بد من العمل حتى لا أشعر بالملل ؟ .. ورغم أنها نفذت ما قالته .. إلا أن « أليس » تشعر أنها لم تحقق توافقاً من أى نوع مع والدتها .. وفى عيادتى أوضحت « أليس » مشاعرها : أن والدى لم يتفهما مطلقاً رغبتى فى الالتحاق بمدرسة عالية .. نفس الشئ بالنسبة لقرارى بتأجيل الزواج وولادة الطفل الأول .. حتى أستقر فى وظيفتى .. » .

.. وتعود « أليس » إلى الماضى .. فتتذكر : كانت أمى تصر على مشاركتى لها فى الأعمال المنزلية .. قائلة : « حتى تصلحين كزوجة فى المستقبل » .. فى حين لم تكن تسمح لأخى بالمشاركة فى هذه الأعمال .. وكانت أحاديثى معها تدور حول العرائس التى أملكها .. أما أخى .. فقد كان فى نظرها أكثر نضجاً .. وكانت تقول دائماً على مسمع منى ومن أخى .. « إن مصلحة البنين فى المستقبل أن يكونوا

على دراية بأصول الطهى فى الفترة التى يعتمدون فيها على أنفسهم قبل الزواج » .. أما البنت .. فلا يهمنى سوى الحصول على زوج وبيت وتكوين أسرة .. وتولى رعاية الأطفال بصورة كاملة ..

إن الأمر الذى يضايق « أليس » جدا .. هو أن أبويها لم يحاولا مناقشتها فى أى من قرارات حياتها .. كل ما فعلاه أنهما تركا شعورهما بخيبة الأمل وعدم الاستحسان .. ينمو ليظهر أمام ابنتهما فى صورة مختلفة .. الأمر الذى أدى إلى أنها تؤكد دائماً .. أن الاختبار الصحيح فى حياتها لم يحدث الآن ..

وهذه بعض ملامح التناقضات التى توضح العلاقة بين الجيلين ..

.. ذهبت « والدة أليس » لزيارتها يوماً .. كانت الطفلة فى الأسبوع الرابع .. حملت « أليس » ابنتها الرضيعة إلى أمها لتحملها بين يديها .. فرحت الأم .. أخذت الطفلة بين ذراعيها .. ولكن .. بعد دقائق قليلة استدارت إلى ابنتها قائلة : « خذى ابنتك ضعيها فى فراشها .. حتى لاتتعود على أن يحملها أحد .. » « أليس » .. تنظر إلى الأم التى تحاول أن تشرح وجهة نظرها .. بحدة ملحوظة .. ملامح معركة أسرية تبدو فى الأفق لا يخفف من آثارها سوى أن كلا من المرأتين تكن حباً للأخرى .. رغم عدم التفاهم الظاهرى .. الابنة تشعر أنها انسانة تفهم وتقدر وتستطيع أن تقوم بواجب التربية مثل أمها تماماً .. والأم شعرت فى هذه اللحظة بالذات أنها من جيل

الأمهات التى لم يعد يحوز إعجاب الابنة وبالتالى لا تعمل بنصيحتها ..

.. هذه التناقضات ربما سطحية بالنسبة للأم والبنت فى وقت معا .. ولكن الحقيقة ـ كما تقول روزلاند ـ أن لها جذوراً تاريخية ضاربة فى القدم .. هذه الاعتقادات القديمة التى لازالت ترسخ فى عقل المرأة الحديثة وهى أنها أنثى أقل فى الدرجة .. لذلك فانها تأخذ أثناء معركة الكفاح أشكالاً متعددة من التمرد ..

.. نعرف جميعاً أن عدداً كبيراً من النساء فى العالم يضربن عن الزواج .. مستمتعات بهذا النمط من الحياة .. ومن واقع خبرتى أؤكد .. أنهن يسألن أنفسهن دوماً .. هل يمكنهن مواصلة الحياة بدون شريك حياة دائم .. أكثر من ذلك إن الخوف الدائم يسيطر عليهن من أن الحياة التى تمر بهن الآن بكل حرية .. بعيداً عن القيود الاجتماعية سيدفعن ثمنها إن آجلا أو عاجلا .. وأيضاً نموذج المرأة التى تتزوج ثم تصر على عدم الإنجاب وتقترب من الأربعين .. انها تعتبر نفسها أنثى غير كاملة .. بل إنها أقل النساء جميعاً .. باصرارها على عدم الإنجاب .. ولكنها رغم ذلك لا تتراجع ..

ومن النادر أن تخرج المرأة من هذه الورطات التى وقعت فيها باختيارها بدون خبرات جديدة .. ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن فى أن تتعرف على هذه الخبرة مؤخراً . بحيث لا تستطيع الاستفادة منها وتحقيق ذاتها بوعى كامل وبالاختيار ودون أى مؤثرات خارجية .

وهناك بديهية نعرفها جميعاً .. تقول .. أى طريق نختاره بأنفسنا لابد من وجود مكاسب وأيضاً خسائر .. ولنتكلم هنا عن الخسائر وهو القلق الذى نعانيه من خوض طريق غير معروف وغير ممهد ولم تسر عليه امرأة من قبل .. ومع هذا القلق .. تنبع الحاجة دائماً إلى تأكيد دور الأم ودعمها وحنانها على أقل تقدير ..

لماذا هى بائسة ؟

وأعتقد أن أصعب الاختيارات وأخطرها كلها تأتى عن طريق تلك المرأة التى تكتشف بعد سنوات طويلة من الزواج .. أنها غير سعيدة .. وهذا النموذج تمثله « سارا » متزوجة ولديها ولد وبنت .. على السطح كل شئ يسير على ما يرام .. زوجها يحقق لها مستوى جيداً من المعيشة .. لايشرب الخمر .. لايثير الصراعات .. ولكنها تكتشف فجأة أنها غير سعيدة بسبب انشغال زوجها وهمومه الدائمة .. وتشعر « سارا » أنها لن تستطيع أن تشرح لوالدتها لماذا هى بائسة ؟ .. لاسيما أن المعتقدات الاجتماعية الشائعة فى العصر القديم أيام زواج الأم .. تحجب الأم عن فهم ابنتها .. ورغبتها فى التخلص من حياتها الزوجية .. لذلك فإن « سارا » تتحاشى بكل الطرق الممكنة الحديث مع أمها فى هذا الموضوع .. لأنها أساساً لا ترغب فى سماع نصائح موجودة فى عقلها ووجدانها وكيانها .. عبارات من ذلك النوع .. زوجك ليس له مطالب خاصة .. وحياتك مثالية .. لماذا تتعبين

نفسك بالتفكير فى أشياء بعيدة .. هل ما تودين عمله على درجة من الأهمية بحيث يستحق أن تضحى من أجله بطفليك وزوجك وأسرتك ؟ ..

والمفارقة هنا هى أن « سارا » تعتبر هذه العبارات اتهامات مباشرة لها .. بأنها ليست أنثى عادية ولا يعتمد عليها .. لا تتمتع بقوة الاحتمال .. ناكرة للجميل .. وغير مرغوب فيها .. كل هذه الاتهامات تعذبها .. ولذلك فهى تعرف أنها سوف تتخذ قرارها بالانفصال بعيداً عن أمها .. وظلت على هذه الحالة سنوات كاملة لا تعرف ماذا تريد .. تعيش حياتها الزوجية أم تتمرد عليها .. إلى أن جاء يوم زارتها فيه أمها .. أفضت إليها بمتاعبها ولكنها لم تسمع من الأم ماكانت تعتقد أنها تعرفه .. الأم الخبيرة حصرت لها الأسباب التى جعلتها أما بمعنى الكلمة .. أما كما تريد هى .. لاكما يريد الآخرون .. وتعلمت من هناك أن ما يمكن أن يحدث هو تأكيد إحساسها بقيمة أن تكون امرأة مسئولة عمن حولها تملأ عليهم حياتهم .. ويملأون عليها حياتها .. وبإحساسها الجديد الذى أوحت به لها الأم المحنكة .. أبعدت فكرة الانفصال عن ذهنها .. وأكملت فى شهور قليلة ما لم تكن تقدر عليه فى سنين طويلة هى سنوات التمرد ..

الحاجة لقلب الأم

.. ومما يدعو للسخرية .. أن التحول عن نموذج الأم .. يأخذ أشكالاً متعددة .. أهمها تلك الابنة التى تحتاج إلى نصائح صغيرة من

الأم .. ولكنها لا تود أن تطلبها منها .. إن هذه الحالة قد أكدتها نتائج دراسات عديدة عن النساء من سن ٣٥ إلى ٥٥ فى مركز أبحاث المرأة فى ولسلى .. والحل أن كل النساء .. سواء اللاتى تزوجن وأنجبن .. أو تزوجن دون أن ينجبن أو اللاتى لم يتزوجن .. أو المطلقات بدون أطفال .. أو المطلقات ولديهن أطفال .. لكل هؤلاء أقول : إنكن جميعا فى حاجة إلى قلب الأم .. ان العلاقة الطيبة مع الأمهات .. ستفيد حالتكن النفسية كثيراً .. وعلى وجه الخصوص النساء المطلقات اللاتى يعملن ولديهن أطفال .. لابد من العودة فى النهاية إلى حضن الأمهات .. حتى لو اعتقدت الأم أن الابنة المطلقة هى السبب فى الطلاق .. لأنها قد أتت خطأً كبيراً أو شيئاً تخجل منه .. وسوف تعتقد فى البداية أيضاً أنها أخطأت كأم فى واجب التربية ولم تقم به كما ينبغى .. ولكن الالتحام بها .. بكل الحب مع شرح الظروف والملابسات يمكن أن يرفع عنها القلق والشعور بالذنب .

أما الكلمة التى أقولها لكل أم لديها ابنة سوف تكون أما فى المستقبل .. يجب أن تلقن الأم ابنتها دروساً عملية تتعلم من خلالها كيف تتقبل نفسها كأنثى كاملة .. ومن حقها أن تفخر بذلك .. وأنها برعايتها لأطفالها وتنشئتهم نشأة عصرية إنما تعيش حياة غير تقليدية .. إن هذه الدروس سوف تقلل إلى حد كبير من القلق والصراع الذى تشعر به البنت .. عندما تكون زوجة وعاملة .. وعليها تقع أعباء متعددة .. ورغم ذلك فهى أقل من الرجل مكانة بما يسلمها

للتمرد .. وهذا يعني بالضرورة أن تقوم الام بتلقين ابنتها .. ان تتقبل نفسها في الحياة الخاصة كما هي في الحياة العامة .

وكلمة أخرى للابنة التي تبحث عن رضاء الأم .. انك تفعلين المستحيل لتدخلين السرور على قلب صغيرك .. لماذا لا تقومين بنفس الشئ أو قريباً منه بالنسبة لوالدتك .. وأؤكد أن الفرصة ستكون متاحة تماماً للحصول على رضاء الأم .. ثم بعد ذلك سترى الابنة الحياة بشكل مختلف تماماً .. وسوف تصبح راضية عن نفسها كل الرضا .. لأن هناك سنداً لها في الحياة يدعمها بالنصيحة والخبرة والرأى السديد بلا مقابل .

وأعتقد أن المشاكل تأتى من أن الأمهات الصغيرات لا يسمحن للأمهات الكبيرات الخبيرات بالتدخل فى حياتهن ، بل إن الواحدة منهن تعتبر أمها موضة قديمة .. والشئ الذى لا تعرفه الفتيات .. أن الأمهات حقاً جيل قديم .. ولكنهن يتغيرن مع الزمن .. وأنهن يسمعن ويشاهدن ويعشن عصرهن مثل الأمهات الصغيرات تماماً .. إذن لماذا لا نجرب أن نشرك أمهاتنا معنا فى حياتنا .. وأن نستفيد من تجاربهن وأن تستفيد أيضاً بما يحدث من تطور فى سلوكهن باستمرار .. بل ونسهم فى تطوير هذا السلوك .. بتوضيح مفاهيمنا الجديدة .. وتقريبها إلى أذهان الجميع .. وبذلك يحدث التقارب المطلوب .. وحل المعادلة الصعبة التى تقول .. إن الأم تظل فى حالة شوق دائم لكى تستشيرها ابنتها فى أمورها

الخاصة .. والبنت تتمنى من كل قلبها أن تحوز رضاء أمها عنها .. لأنها بالتأكيد أهم شخص فى حياتها .. ولكن كيف يحدث ذلك ؟..

والدرس الأساسى الذى يجب أن تعيه كل ابنة للحصول على رضاء أمها .. هو أن تحرر نفسها من الخوف من الفشل. تفحص أهدافها من الحياة جيداً .. قبل أن تجازف بالاختيار .

.. لتكن أهدافك مناسبة لامكانياتك وقدراتك الخاصة .. حاولى إقناع والدتك بالمناقشة الهادئة ..

إذا كنت أما وزوجة .. لا تخجلى من مصارحة أمك بأدق أسرارك حتى أسرار علاقتك بزوجك بدلاً من مصارحة الصديقات .. وتأكدى من أنها سوف تعطيك العلاج المؤثر .

تحملى مسئولية إدارة دفة حياتك بنفسك .. فان المرأة ـ رغم ما حدث من تطور فى سلوكياتها ـ فإنها لازالت حتى الآن تنفذ ما هو مطلوب منها .. بمعنى آخر .. تنفذ مايقترحه الرجل عليها .. وهى مسئولة عن ذلك تماماً .. لأنها فى قرارة نفسها لا تريد أن تتحمل مسئولية حياتها .. بل إنها غير مستعدة لتحمل هذه المسئولية .. انها تعانى من الخوف من أن اختيارها قد لا يكون صحيحاً .. فمثلاً الأم الشابة العاملة لا تحاول تغيير حياتها أو عملها .. حتى ولو كان هذا العمل نائبة لرئيس احدى الشركات لأن الخوف يملؤها .. ولأنها تريد أن يأخذ شخص آخر عنها هذا القرار ..

أما المرأة التى تقوم بالاختيار بنفسها .. وتتحمل نتائجه .. فتكون من القوة بحيث لا تريد أن تسمع كلمات المواساة أو التأنيب .

ألم أقل لك ذلك من قبل ؟.. وطبعا يزداد الأمر سوءاً إذا كان هذا التأنيب من أمها .

إن التفكير فى الفرص التى كانت مثلا ، غير مناسبة على الإطلاق يؤرق الفتاة .. وعندما يبدو الزواج فى الطريق السليم لمدة ١٥ سنة .. فجأة يتكشف للزوجة أن هناك خطأ ما .. يجب أن تنفصل من أجله .. شئ مثير للإشفاق .. لأن فكرة الخطأ والصواب أساساً تحتاج إلى بحث ودراسة .. وما من شئ مؤكد فى هذه الحياة .. وقد تكون الفرصة مناسبة لك الآن ولكنها بعد سنوات تفقد صلاحيتها لك وتصبح غير مجدية .. وكلنا نعلم أن اتخاذ القرار الصحيح .. شئ مهم .. ولكن حتى القرارات الصحيحة لا نعرف أنها كذلك إلا بعد مرور سنوات .. بالإضافة إلى أن كل القرارات التى يأخذها الإنسان فى حياته بشكل ما .. تخضع لعدة اتجاهات سيكولوجية واعتبارات نفسية .. هى التى تدفعنا للسير فى هذا الاتجاه أو ذاك .

صانعة الحلم

إذن .. نحن النساء فى حاجة أولاً إلى أن نعرف أنفسنا بطريقة كافية .. بحيث نستطيع اختيار الطريق الذى يلائم كلا منا .. ويحقق لنا الراحة النفسية المنشودة .



وهذا يجرنا بالطبع إلى الحديث .. عن حالات تضطر لاختيار طريق معين لأن شخصاً آخر يريد لها ذلك سواء كان هذا الشخص غريباً أو قريباً .. أو لأنها تخاف كلام الناس .. أو لأنها تخاف من التغيير .

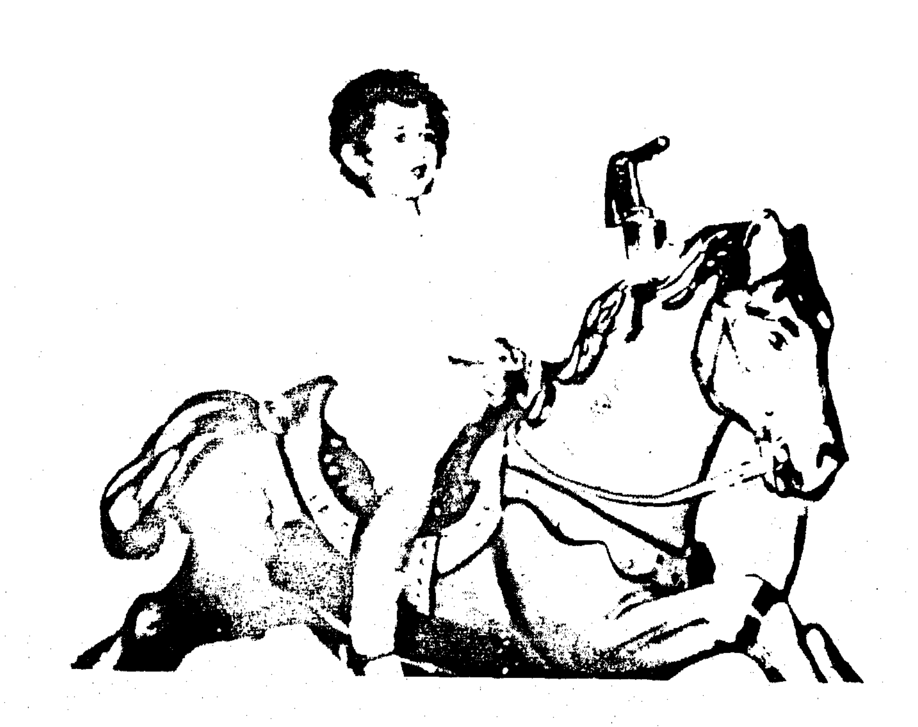
إن كل هذه الاعتبارات تخلق ضغوطاً نفسية شديدة على المرأة .. على مشاعرها بالذات وتكلفها كثيراً .. ولنضرب لذلك مثلاً .. النساء غير المتزوجات ورضين هذا الوضع بإرادتهن الخاصة .. أفضل كثيراً بل وأكثر استقراراً من النساء اللاتى يردن الزواج ولكن لم يسعدهن الحظ .

وبالمثل .. فإن النساء الراغبات فى العمل بإرادتهن تحقيقاً لخبرات معينة .. أفضل كثيراً وأكثر استقراراً من اللاتى يعملن تحت ظروف اضطرارية .

والخلاصة .. أن اختلاف القيم بين الأجيال هو الذى يؤدى إلى الصراع .. ويمكن أن نخفف منه بأن نفهم كرجال ونساء .. أفراد فى مجتمع ما .. إن العهد الذى كانت فيه المرأة مسئولة عن جمع شمل الأسرة ودعم وجودها فى غيبة الرجال فى الصيد أو الحرب .. انقضى تماماً .. وأصبحت المرأة الحديثة .. هى مؤلفة أغنيتها وصانعة حلم مستقبلها وحياتها .

وتعتبر الأم من أهم الأطراف التى يكون لاستجابتها لتصرفات ابنتها .. تأثير واضح فى الموقف .. وفى أسلوبها لاختيار الطريقة

الملائمة ، لأنه ليس من السهل أن تتجاهل الابنة ردود فعل الأم تجاهها .. وإن أظهرت غير ذلك .. فهى أكثر اهتماماً من الابن بهذه الناحية .



«الرجال» الأرامل..!

« عندما يفقد الرجل زوجته
ويصبح مسئولاً عن تربية أطفاله ..

ماذا يقول العلم .. وماذا يقول الواقع ؟ »

عندما يفقد الرجل زوجته .. ويصير مضطراً إلى أن ينفق كل وقته فى رعاية أطفاله منفرداً .. وينظر إلى عمله خارج المنزل نظرة مربية الأطفال التى تقطع الطريق عائدة إلى أطفالها فى لهفة وشوق .. ويتكرر هذا الرجل من بيت إلى بيت .. ويتكون منهم جمعية ونادى وهيئة وقضية اجتماعية .. تشغل بال أكثر من ثلاثين مليون زوج وحيد فى العالم .. منهم فى انجلترا وحدها مليون زوج وحيد .. كل منهم وجد نفسه فجأة وبدون مقدمات فى مواجهة أبناء صغار يحتاجون إلى كساء وغذاء ورعاية وتعليم .. وأمن اجتماعى أيضاً ..

لقد أصبح هؤلاء الآباء الوحيدين .. جميعاً .. أعضاء دائمين فى جمعية « كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين » .. ومهمتها بالدرجة الأولى رعاية مصالح هؤلاء الآباء .. وتبادل الخبرات فيما بينهم .. وأيضاً تقديم خدمات محدودة للصغار من وقت لآخر .. بهدف تخفيف العبء عن كاهل الأزواج الذين يتولون مهمة اضطرارية .. وشاقة وقاسية .. وغير محببة إلى نفوسهم على الاطلاق ..

وها هو أحدهم يحكى تجربته .. يقول :

لقد تحطم زواجى على صخرة الخلافات الزوجية منذ حوالى ثلاثة أعوام .. تركتنى زوجتى فجأة فى مواجهة طفلين أحدهما فى الثالثة عشرة اسمه « ريتشارد » .. وطفلة فى الخامسة اسمها « سارا » ..

ويضيف : فجأة وجدت أنه لا يوجد ملابس نظيفة بعد أسبوع من مغادرة زوجتى للمنزل .. وكنت خلال الأسبوع أحاول أن أوفر للطفلين كل أسباب السعادة حتى لا يشعرا بغياب والدتهما .. الوقت كله .. لعب .. نزهات خارجية .. استجابة لكل طلباتهم المعقولة وغير المعقولة .. وطبعاً بالإضافة إلى مهمة غسل الملابس وكيها دون أدنى فكرة عن ذلك .. وبالمثل .. كان لا طعام على المائدة .. إلا إذا ابتعته أنا من السوق وقمت بطهيه بنفسى .. ويتضاعف عذابى عندما لا يقترب أى من الطفلين من الطعام الذى أنفقت فى طهيه أكثر من ساعتين ..

لقد ارتكبت أثناء محاولة إرضاء صغارى ، كل الأخطاء التى

يمكن أن يرتكبها طفل أثناء محاولة تجربة أى شيء جديد .. وكانت الوجبة التى يقبل عليها « ريتشارد » و « سارا » هى البيض والبطاطس المقطعة شرائح رفيعة ومقلية فى الزيت .. لا لشيء إلا لأنها كانت الوحيدة التى أصنعها بإتقان .. لقد بالغت فى تقديمها لهما .. حتى جاء وقت وقد أصبح ثلاثتنا مرضى من كثرة ما تناولنا من البيض والبطاطس !

ومن الأمور المضحكة بالفعل .. أن المرة الأولى التى شرعت فيها فى تنويع الغذاء ، « قررت » تحمير دجاجة .. ووضعتها فى الفرن كما هى دون أن أنزع الغلاف البلاستيك من عليها !

إن « دان دين » الأب الوحيد يصف مشاعره بصدق فيقول :

لا شك أنكم تضحكون الآن من حكاية الدجاجة هذه .. ولكن أيامها وبعد الطلاق مباشرة .. كانت هذه المواقف تبدو لى كما لو كانت مأساة حقيقية أكثر منها مادة مثيرة للضحك .. لقد حاولت فى العام الأول ، أن أحقق التوازن الفعلى بين العمل فى المنزل وخارجه .. وكنت ألهث فى محاولة لإنجاز الاثنين معاً .. أصحب « سارة » إلى المدرسة فى الصباح الباكر .. وأعود بها مهرولاً بعد الظهر لأعد طعام الغداء .. وكم من مرة اقتطعت من وقت العمل حتى أقوم بإنجاز شيء هام لهما .. حتى أننى لم أستطع تحقيق ساعات عملى المطلوبة كى أحصل على الأجر الكامل الذى يفى بديونى ومتطلبات أسرتى .. وفى الوقت ذاته كنت أحاول أن أمنح صغارى بعض الأمن

المفقود بمغادرة والدتهما ، وهذا فى حد ذاته كان مشكلة المشاكل ، إذ كيف يمكن لرجل يشعر فى قرارة نفسه بالفشل الذريع فى تحقيق التوازن فى حياته الزوجية أن يمنح للصغار الأعزاء الأمن ؟ .. وكم من مرة انتهى بى الأمر أن أشارك الطفلين فراشهما ، لمزيد من الشعور بالأمن والأمان ..

ولكن هل استطاع « دان دين » الأب الوحيد أن يحقق الأمن النفسى لطفليه ؟ ..

يقول هو فى أسى :

يكفى أن فقد « ريتشارد ــ ١٣ سنة ــ حماسه للمدرسة .. وطبعاً بدأت الحالة بإهماله للواجبات المدرسية .. وأعتقد أنه يحس انهياراً نفسياً .. ولكن لم يرد التحدث معى فى أى من مشاكله .. ومن ناحيتى لم أبذل محاولة من أى نوع للضغط عليه .. حتى أنه أسلم نفسه لأصدقائه من ناحية وموسيقاه من ناحية أخرى ..

أما « سارا » ــ خمس سنوات ــ فقد بلغت فى الالتصاق بى أكثر مما كانت أيام وجود والدتها .. لقد تخيلت لفترات طويلة أنها تحتاج لعلاج نفسى ، عندما كانت تجلس ملتصقة بأى امرأة موجودة أثناء زيارات الأصدقاء لنا ..

والخلاصة .. أنك مهما كنت أباً مثالياً فى كل شىء ، فإنه لا يمكن أن تكون أماً كما ينبغى .

مواجهة الواجبات المنزلية :

والحق أنها المرة الأولى التى يجلس فيها « دان دين » ليفكر فى أسرته عندما تخيل فى وقت ما .. أنه يمكن أن يفقد أطفاله كما فقد زوجته من قبل .. ولذلك فكر فى الانضمام إلى جماعة « كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين » .. فهناك سوف تتاح الفرصة أمامه لسماع مآسى غيره من الآباء الذين يعيشون حياة مماثلة بمفردهم مع أطفالهم .. وأيضاً الاستماع إلى نصائحهم إن وجدت .

ولانضمام « دان دين » لهذه الجمعية سبب آخر .. هو أن معظم أصدقاء الأسرة ، هربوا واحداً بعد الآخر بعد الانفصال .. وكان عليه أن يقوم بتكوين حلقة أخرى من الأصدقاء ، لأنه لم يكن من الممكن أن تدور حياته فى حلقة مفرغة مع الأطفال فقط .. فضلاً عن أن هذا الوضع لم يكن ليحقق مصلحة من أى نوع .. لا بالنسبة للأب الوحيد أو بالنسبة للأطفال .. وتعرف من خلال الجمعية على أصدقاء جدد .. قاموا بمهمة عمل ميزانية منتظمة للمنزل .. كما أشاروا عليه بضرورة أن يكسب دخلاً إضافياً .. حتى بدأت حياته تسير فى الطريق الصحيح مرة أخرى .. ولكن .. هل عرفت السعادة طريقها إلى قلب « دان » : ؟ .

يجيب هو نفسه على السؤال :

« إننى الآن أفكر أكثر من ذى قبل .. لو أننى كنت قد منحت أطفالى وزوجتى بعض الاهتمام ... لو أننى كنت حريصاً على مناقشة

مشاكلى معها بعيداً عن الصغيرين .. لو أننى نظمت نفسى بحيث يتبقى وقت لأرفه فيه عن زوجتى وأولادى خارج المنزل .. ها أنا الآن ألهث فى محاولة ، ربما تكون بلا جدوى .. لأحقق للأطفال جزءاً مما كانت تحققه لهما والدتهما .. ومهما فعلت فإن هناك شيئاً ما يحتاج إلى يد لإنجازه .. فالعمل داخل المنزل لا ينتهى .. وبدون عيون المرأة لا يمكن للمنزل أن يستقيم .. على سبيل المثال .. الستائر .. وأغطية الفراش .. لم أكن أعرف كيف تبدو نظيفة طول الوقت أثناء وجود زوجتى معى .. ولماذا تتسخ وتحتاج إلى تغيير كل يومين بعد أن انفصلت عنها .. وأتساءل كثيراً ماذا كانت تفعل لتحقق لنا وجبة ساخنة كل يوم .. وأنا لم أتعود على ذلك .. وأفكر كثيراً أيضاً .. ماذا كانت تفعل بحيث تتوافر فيه كل العناصر الغذائية ؟ .. وكيف لم أكن أسمح ـ أثناء وجودنا معاً ـ بمرور وجبة الغذاء بدون دجاج أو لحم مشوى .. أو مسلوق .. فى حين أسمح لنفسى وللأولاد الآن .. بتناول وجبات محفوظة وجافة .. كل يوم تقريباً ؟ .. إن هذا العقاب الذى أجريه بينى وبين نفسى يعطينى طاقة لبذل المزيد من الجهد من أجل أن أحقق توازناً فى غذاء الأطفال من الناحية الصحية على الأقل .. إن الكثيرين يقولون لى لابد وأن يساعدك أطفالك .. وهم بالفعل يساعدوننى .. ولكن هل من المناسب نفسياً أن يتحمل الأطفال هذا النوع من المسئوليات .. فى هذا الوقت المبكر من عمريهما ؟ .. لا أدرى ..

ومن الأمور التى تستهوينى الآن .. هى كيف أشرب كوباً من

الشاى دون أن أقوم أنا بصنعه .. ولكن هذا لا يتحقق أبداً .. كيف يتحقق هذا المطلب .. و « ريتشارد » ــ صغيرى ــ يطاردنى بطلباته ؟ .. فهو يقضى اليوم كله خارج المنزل .. وعندما يعود فى المساء يكاد يجن لأنى لم أعد له حمامه .. أو أضع له الطعام على المنضدة .. أو لم أقم بغسل قميصه الكاروه ؟ .. إنه يشكو دائماً من أننى لا أقوم بغسل رداء التدريب عندما يتركه فى المكان المخصص للغسيل .. ويأتى يوم التدريب والرداء مازال متسخاً .. بينما كانت أمه تقوم بغسله فوراً دون أن يطلب منها ذلك .. إننى غالباً ما أحاول عبور هذه المنغصات التافهة مقارنة بأمور أخرى أكثر قسوة وشقاء .. وذلك حتى لا يعلو صوتى على « ريتشارد » وتصبح مشاجرة فعلية بيننا .. إننى أحاول ألا أحزنه أو أضايقه .. وأبتعد تماماً عن عقابه بالضرب أو غيره .. إننى أعرف أننى أبدو له كما لو كنت غير مناسب لهذه المهمة .. ولا أستطيع أن أعاقبه بالضرب وخاصة وهو فى هذه السن .

إن « سارا » شقيقته مثلاً .. تعرف أيضاً ــ رغم صغر سنها ــ أنها تستطيع أن تجعلنى أرقص بإشارة من أناملها الدقيقة .. ولكن عندما تسوء الأمور بيننا لدرجة لا يمكننى السيطرة عليها .. وأغدو فى حالة لا يمكن معها الاستجابة لأى من الصغيرين الماكرين .. إننى أعتبر أباً متساهلاً طوال الوقت .. ولكن التربية الحقيقية للأولاد من أب وحيد تبدو صعبة وقاسية بكل هذا القدر من التساهل .. وثمة حقيقة يجب أن نعرفها جميعاً أن تبذل مجهودك .. ثم تتمنى فى قرارة نفسك ألا ترتكب الكثير من الأخطاء أثناء ذلك ..

والحق أن كتب التربية الحديثة التى استعنت بها ، ساعدتنى كثيراً على أداء مهمتى .. فإن الأطفال وهم صغار . يحتاجون لرعاية بسيطة وواضحة ، فما عليك إلا أن تعلمهم وترشد خطواتهم الصغيرة إلى ما يجب عمله .. ولكن المشكلة كلها تكمن فى الفترة التى يطلقون عليها « فترة المراهقة » .. عندئذ يكون عليك أن تحميهم من الصدمات العاطفية .. حتى لا يكبروا وهم غير قادرين على الإحساس بالسعادة من ناحية .. ءأو الثقة فى النفس ... أو على أقل تقدير فإنهم سيشبون غير قادرين على معرفة احتياجات الآخرين .. كذلك فإنك لو تعودت على حمل أطفالك دوما فإنهم لن يتعلموا السير أبداً ..

الثمن : فقدان الوظيفة :

وها هو أب وحيد آخر .. يقوم بمهمة رعاية صغاره بمفرده .. إنه « ريتشارد باجت » ... يبلغ من العمر ٣٩ سنة .. أرمل من مقاطعة أميتون شاير بانجلترا .. يقول :

إنها مشكلة كبيرة أن تحقق التوازن بين طرفى المعادلة مع الأطفال فى تربيتهم وتهذيبهم .. والاحتفاظ فى نفس الوقت بكل حبهم لك .. فابنتى « شيرلى » ـ عشر سنوات ـ ناضجة بالنسبة لمن فى مثل سنها .. لقد كبرت سريعاً بعد وفاة والدتها منذ حوالى ثلاث سنوات .. ولكن « جون » ـ ٨ سنوات ـ فإنه يتصرف بطريقة غير مقبولة .. وأنا أكره أن أعاقبه . حتى لو بدت أعماله شيطانية .. لا لشىء إلا لأن العقاب يحزنه كثيراً ويجعله يائساً ..



إن الأطفال لا يقبلون على فكرة عدم التنازل عن حقوقهم مهما كان الأمر .. إن كلا منهم لديه ما يفعله داخل المنزل .. ولكنهم إذا أرادوا أن يمارسوا اللعب على أساس أنه جزء من تحقيق سعادتهم .. فإن العمل يقع على وحدى .. حتى لا أزعجهم أو أثير تبرمهم .

والحقيقة أنه من الصعب أن أقارن بين أطفالى وأطفال الآخرين لأعرف ما إذا كنت أسير معهم على الطريق أم لا .. لأن هذه الأمور تبعد تماماً عن حديث الرجال .. وأنا لا أحاول أن أسأل عن ذلك كنوع من أنواع الخجل فقط ..

ويقول « ريتشارد » بأسى :

لقد فقدت وظيفتى «كأمين مكتبة» أثناء مرض زوجتى .. لأننى كنت أحتاج إلى وقت طويل للعناية بها .. وبعد وفاتها افترضت أنه يمكن أن أعود إلى العمل .. ولكن كل أصحاب الأعمال يصرفون النظر عن تعيينى نهائياً ، عندما يعرفون أننى أقوم برعاية طفلين بدون مساعدة من أحد .. والآن .. أعيش بمكافأة الضمان الاجتماعى .. دون أن أؤدى أى عمل فعلى أو منتظر ..

لقد تعودت على أن أدفع العربة أمامى لأبتاع حاجيات الأطفال من السوبر ماركت .. أو أن أذهب « بجون » إلى المدرسة .. لأننى أشعر كأننى أقوم بعمل هام .. بالطبع كانت البطالة تمزقنى فى البداية .. ولكن الآن أرى الكثيرين من الرجال لا يعملون فلم تعد

البطالة تقلقنى .. لأننى أعرف أنه لابد أن يأتى يوماً تنتهى فيه كل مشاكلى ..

وفى الصيف الماضى .. عندما قضى « ريتشارد » ثلاثة شهور فى العمل فى المكتبة كجزء من دورة تدريبية طويلة للأشخاص الذين لا يعملون ، تأكد من أنه لا يمكن الجمع بين العمل ليوم كامل وإدارة منزل وتربية طفلين فى آن معاً .. ويقول « ريتشارد » أكره أن أعود إلى المنزل بعد نهاية يوم كامل من العمل .. لأن الطهى والغسل والكى والتنظيف كلها أشياء تنتظرنى .. فضلاً عن أن إنجازها يستغرق وقتى كله بحيث لا يتبقى منه شىء للأولاد أو لأداء واجباتهم المدرسية .. لقد تأكدت الآن أن الأطفال فى حاجة إلى أشياء كثيرة أقلها أهمية النقود ، إذن ليس أمامى حل آخر حتى أعمل طوال اليوم ثم أعتنى بهم بعد ذلك .. لقد تعودت على خدمة أولادى منذ كانت زوجتى مريضة ، ولكن هناك فرق كبير بين أن أطهو بنفسى مثلاً .

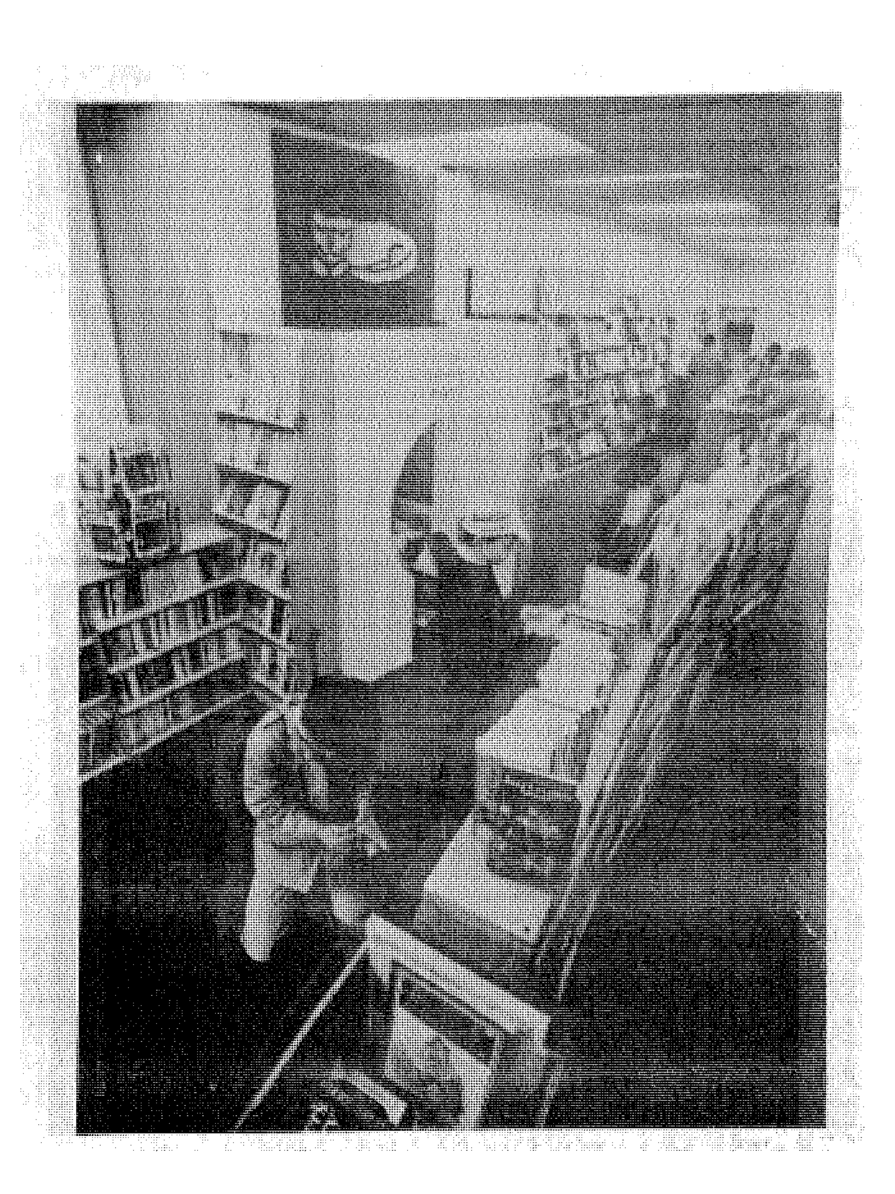
والتفكير يومياً فى أنواع الطعام التى سنأكلها كل يوم .. وعندما برزت ركبتا جون من بين ثنايا بنطلونه لم يكن لدى أدنى فكرة عما يجب عمله .. ولكن واحدة من جاراتى عرفتنى بالرقع الصناعية التى يجب أن ألصقها على ركبة للبنطلون بواسطة المكواة .. حتى لا تتهرأ مرة ثانية .. والآن .. لدى فكرة عن الكثير من الأمور الخاصة بالملابس .. وأنا وشيرلى .. ابنتى .. تتعلم الطهو .. كى نستطيع أن نطهو الأطعمة التى كنا نتناولها قبل وفاة زوجتى .

العلاج فى الكتب :

ولكن هل يقضى « ريتشارد » حياته بين البيت والأطفال فقط ؟ ..

يقول هو :

« إننا نقتطع مبلغاً صغيراً أول كل شهر ، لكى نستطيع قضاء الصيف خارج المدينة ، ومشاهدة مباريات كرة القدم فى الملاعب .. ولكن الصعوبة الحقيقية .. ـ والكلام على لسان الأب الوحيد ـ عندما يحدث وأقابل مجموعة من الناس .. أجد صعوبة فى مشاركتهم الحديث .. إن جميع الرجال يتحدثون عما وصلوا إليه فى أعمالهم وماذا فعلوا لتحقيق طموحاتهم .. أما أنا فلا أستطيع الاستجابة لهذا الحديث .. والمؤسف أننى حتى الآن لم أفكر جدياً .. فيما يمكن عمله لمستقبلى .. أعرف أننى أحيا يوماً بيوم .. وأعرف أننى لابد وأن أبنى حياتى من جديد .. وأفكر فى نفس الشىء بالنسبة لأطفالى الذين يؤكدون لى فى كل مناسبة أنهم لا يمكن أن يتركوا البيت وأنهم سوف يبقون معى إلى الأبد .. ولكننى لا أريد أن يشبوا وفى عقيدتهم أنهم لا يمكن ترك والدهم العجوز وحده .. ولذلك أفكر فى أن أقدم طلباً لمجلس المدينة للأطفال إلى مدينة « ليدز » حيث توجد بقية العائلة .. وبذلك يمكننى أن أجد عملاً .. وأن أجد أيضاً الحل الأمثل لكثير من مشاكلى » .



يقول « ريتشارد » مؤكداً :

« مهما كان درجة ما يحدث الآن وفى المستقبل فلا يمكن أن أتجاهل مهنتى فى تربية صغارى .. ومسئوليتى الكاملة نحوهم .. لقد أصبحت قريباً منهم لدرجة كبيرة أكثر مما يحدث مع كثير من الآباء .. إن الرجل الذى يستطيع أن يقوم برعاية الأطفال وحده لم يوجد بعد .. وإن وجد فهى على كل مهمة غير محببه إلى نفسه على الإطلاق ..» .

إن المشكلة الرئيسية فى رأى « ريتشارد » ـ الأب الوحيد ـ عندما تأتى إليه ابنته « شيرلى » .. لتسأله أمراً حول سر الحياة .. والعلاقة بين الرجل والمرأة .. فى بداية الأمر كان « ريتشارد » يصمت .. ويدعى الجهل بالشيء .. ولكنه أدرك أن صمته هذا لن يحفظ على ابنته جهلها بالإجابة .. ولكنه قد يوقعها فى حيرة .. وبعد أن سأل أحد الخبراء فى تربية الطفل .. أجابها بقوله : « لماذا لا نبحث عن الإجابة سوياً فى كتاب لنتزود بالمعلومات ... وبالفعل .. إن « شيرلى » تأتى إلى الآن لتلتقى بما عندها من أسئلة تحيرها .. ومن ناحيتى لا أتركها مطلقاً إلا بعد أن أشهد علامات الرضا النفسى على ملامحها .

والحق أن « ريتشارد » يبذل الكثير من وقته لكى يكون قريباً من ولديه .. ويقوم بدور الأم .. والأب .. فى وقت واحد .. وبالتفصيل يقول « ريتشارد » إذا لجأ أطفالى إلىّ .. فى أى وقت

للاستفسار عن أى شى .. حتى لو بدا لى تافهاً .. لا أنهرهم أو أبعدهم عنى بحجة أننى مشغول بأمور أخرى .. حقيقة أنهم يمكن أن يلجأوا إلىّ فى لحظات غيرمناسبة على الإطلاق .كأن أستعد لإعداد الغذاء أو أجمع الغسيل لأضعه فى الغسالة .. مهما كان الأمر فأنا لا أحاول إبعادهم عنى .. لأننى قرأت فى كتب تنشئة الأطفال .. أن هذا الشىء التافه فى نظرك . هام جداً بالنسبة لهم ، بل لا تكون ثمة مبالغة إذا قلنا إنه بمثابة اختبار يجرونه هم لأبويهم من حين لآخر .. إنهم يريدون منا أن نقرر فى لحظة غير مناسبة دائماً .. أيهما أهم فى نظر والدهم .. هم .. أو الغسيل ؟ ..

إن الأطفال فى جميع أنحاء العالم .. وهذا ما تؤكده أيضاً كتب التربية لا يريدون آباء عظماء .. آباء يتمتعون بالجمال والوسامة .. أو آباء مليونيرات .. إن كل طفل لا يريد أكثر من أب أو أم قريباً إليه .. آباء على استعداد لكى ينحوا كل شىء جانباً فى أى مكان وفى أى وقت .. من أجل أن يستمعوا إلى ما فى عقول صغارهم .. عندئذ يمكنك الحصول على ما تريد دون رد فعل شىء من ناحيتهم أو محاولة للخروج من حصار الأسئلة .. ربما بكذبة أو إنكار تام ..

ابنتى « شيرلى » على أبواب المراهقة .. أعرف أنها فى حاجة إلى والدتها الآن أكثر من أى وقت مضى .. ولكننى أحاول بكل ما استطيع تجنيبها مشاكل هذه الفترة .. لقد عكفت على قراءة الكتب التى تؤدى الغرض .. « لتنزع من قاموسك نهائياً هذه الكلمات ... » لا يمكنك أن تخرجى يا ابنتى بهذا المنظر .. أو ما هو

نوع الوقت الذى سيقضيه الولد خارج المنزل ؟ .. لماذا أنت كسول هكذا ؟ ..

إن كل هذه الأسئلة يطلق عليها علماء النفس فى العالم أسئلة « مغلقة » .. بمعنى أنها تغلق الطريق أمام أى تفاهم بينك وبين صغيرك .. حتى لو استنفدت كل طاقتك ولم يعد عندك المزيد من الوقت أو الجهد أو الراحة النفسية المطلوبة لحسن معاملتهم .. ولك أن تضع نفسك مكانهم أو إذا فعل بك رئيسك فى العمل مثلما تفعل أنت بهم .. لاشك أنك ستغضب .. وأكثر من ذلك وهو المهم .. سوف تتردد ألف مرة قبل أن تلجأ إليه فى أى مشكلة .. إذن لماذا تنكر على صغارك هذا الحق ؟ .. أنهم لا يختلفون بالمرة .. ويمكنك أن تلقى الأسئلة على أولادك بصورة أخرى .. مثلاً هذا اللون رائع .. هل هو الموضة الآن ؟ .. أو أنا قلق عليك فلا تتأخر كثيراً .. قل لى أين ستقضى الوقت حتى اطمئن فقط ؟ .. أو يبدو أنك مشغول ومتعجل .. هل يمكننى أن أساعدك ؟ .. إن المعنى بلا شك واحد .. ولكن طريقة التوصيل مختلفة .. ويمكن القياس على ذلك فى أى شىء تطلبه من أولادك .. ثم بعد ذلك لابد وأن تجعل من أنفسنا أذناً صاغية دائماً .. وصديقاً كل الوقت لهم ..

إن هذه الطريقة أفضل كثيراً من مهاجمتهم ، لأن الهجوم وكلنا نعرف جميعاً يحتاج إلى دفاع .. حتى لو كان من فلذات أكبادنا .. والأطفال جميعاً .. عندما يصلون إلى سن المراهقة يميلون

عادة إلى الرومانسية .. وهم فى حاجة إلى الإلمام بكل أنواع المعلومات بطريقة علمية واضحة . فى حاجة أيضاً إلى نصائحك .. ولكن ليس على شكل خطب منبرية .. أعطها النصيحة فى برشامة واحدة لا فى زجاجة دواء كاملة .. وتأكد .. وليتأكد كل الآباء أن الابن أو الابنة عندما يتلقون النصيحة .. ربما لا يأخذون بها .. وهذا يحدث غالباً .. وقد تشعر باليأس والبؤس .. ونفاذ الصبر .. عندما ترى أولادك وهم يرتكبون نفس الخطأ أكثر من مرة رغم أنك قدمت النصيحة أكثر من مرة أيضاً .. ولكن ثق بأنهم سيعبرون أزمانهم بأفكار جديدة وسلوك صحيح .. تماماً كما يفعلون مع الموضات .. إنهم يجربونها ثم يتركونها لحالها .. ومع الثقة التى تمنحها لهم والابتسامة الدائمة على وجهك تجعلهم يقتفون أثر خطواتك فى النهاية وهو المطلوب .

هل هناك حل ؟

إن نجاح « ريتشارد » فى العناية بأطفاله .. تحقق على حساب حياته هو .. إلى جانب أنه ليس النموذج الأمثل للآباء الوحيدين فى العالم .. الذين يتجرعون عبء تربية صغارهم وحدهم .. ولقد أوضحت أبحاث الأسرة التى أجريت حول الطلاق فى أمريكا .. مثلا أن الآباء الوحيدين الذين يمارسون أعمالهم العادية بجوار العناية بأطفالهم بعد الطلاق .. يعيشون حياة أكثر استقراراً من الناحية العاطفية والانفعالية .. كما يكتسبون ثقة وتلاؤما مع كل شئ .. والأب الوحيد « دان دين » أفضل نموذج لذلك .. فهو قد استمر فى عمله ..

كما يواظب على حضور اجتماعات مجموعة الآباء الوحيدين بانتظام .. ولابد وأن يفعل « ريتشارد باجت » نفس الشئ حتى تصبح حياته أكثر اشراقاً .. بتحقيق الاتصال الضرورى لاستمرار القناعة النفسية .. وأيضاً باقامة صداقات مع أناس يقتسمون معه الخبرة والأخطاء .

وثالثاً لتحقيق الاستفادة الكاملة من مشروعات الجمعية .. من أجل صالح الأطفال بعد اليوم المدرسى وفى الاجازات .. لأن هذه المشروعات فوق أنها تتيح للأب الوحيد فرصة التحرك بحرية .. فهى تحقق الأمن الذى يحتاج إليه أطفال الآباء الوحيدين .. فهى تساعد على تنمية مواهبهم واكتشاف قدراتهم الابتكارية مبكراً .. كما أنها تحقق المشاركة وتخفف من حدة المشاكل التى قد يتعرضون لها خلال ممارستهم لمختلف الخبرات .

وفى بعض المناطق تشترك بعض المدارس ودور الحضانة فى حل مشاكل هؤلاء الآباء .. فتحصر عدد الآباء الوحيدين وتدعوهم لتنظيم أوقاتهم بحيث يقوم كل منهم برعاية صغاره مع صغار الآباء الآخرين بعد اليوم الدراسى .. وتتم هذه الرعاية عادة بالتناوب بينهم جميعا .. بحيث يتمكن كل أب من أن يكون حراً باقى الاسبوع .. وفى نفس الوقت تتيح للأطفال فرصة التعرف على من هم فى مثل أعمارهم .. كيف يعيشون ويكونون صداقات فيما بينهم .. من المؤكد أن هذه الصداقات ستحقق لهم السعادة لأن الظروف متقاربة بشكل عام .

إن هذه الظاهرة تجرنا فى النهاية إلى ضرورة الاهتمام بتعليم الصبى بعض الأمور المنزلية ضمن مواد الدراسة حتى تتاح له ـ على الأقل ـ فرصة العناية بنفسه أولا .. وبمن يحتاجون اليه ثانياً .

المشاركة

هى ما يحتاج إليه الطفل لكى ينجو من الحقد المدمر

وصولاً إلى نهايات القرن العشرين .. فقد الإنسان المعاصر كل صلات الحب .. ولمسات التعاون والمشاركة مع الآخرين .. وذلك فى محاولة منه للسيطرة على ذاته وتحينها وتحصينها ضد وباء سرعة التقدم العلمى الرهيب .. الأمر الذى أدى إلى حالة سجن انفرادى فى زنزانة الـ « أنا »، الـ « أنا » .

وإذا كانت الطموحات البشرية المعاصرة تبتلع كل معانى التعاون والمشاركة .. والإيثار فإنه يبقى أمام أجيالنا من الأطفال

فرصة ـ ولو نادرة ـ من أجل العودة إلى نظرتهم التعاونية . من خلال الدراسات النفسية والاجتماعية التى تقوم بها مؤسسات خاصة فى أنحاء العالم من أجل أن تنمى فى الطفل الجديد ـ رجل المستقبل ـ أكبر طاقة من العودة إلى حضن الناس ملاذا من الحرمان الذى تتصف به حياة المعاصرين الكبار .

وفى دراسة حديثة أعدها ـ ليو ـ ف ـ باسوليا ـ أستاذ التعليم الخاص بجامعتى كاليفورنيا ولوس انجلوس .. يقول : « إنه من المستحيل التقرب إلى الناس .. لو لم يكن بينك وبينهم حد أدنى من الحب .. تستخدمه مثل كوبرى تعبر من خلاله إليهم .

إن أحداً لا ينكر قابلية الإنسان على فهم قواه المتعددة للعطاء .. لكن هذه الاستجابة فى حاجة إلى من يوقظها بوعى .. وبقدر توسيع دائرة تدريب الأطفال على فهم أنفسهم ومن حولهم من أجل إعطائهم المعانى الحقيقية لكلمة (تعاون) وكلمة (مشاركة) وكلمة (أخذ) وكلمة (أعطى) .. وبقدر تعودهم عمليا على معانى هذه الكلمات التى لا تموت .. فاننا نخلق أبطالاً حقيقيين .. قد نجوا من أخطار البطولة المدمرة .. التى تقف عقبة فى طريق حصول الآخرين على حقوقهم وطموحاتهم .. وعندما نشبع القابية القابلية العظمى للحب والمودة فى أعماق أطفالنا .. فإنها لا يمكن أن تتحول إلى حقد ذاتى مدمر .



المشاركة هي :

لقد حاول اثنان من المتخصصين فى تعليم الأطفال .. هما ستيف هوفمان .. الأستاذ بجامعة ميسورى ـ كاليفورنيا ـ وبيكى واندرام الأستاذة بمركز تنمية الطفل بنفس الجامعة .. حاولا تحديد مفهوم المشاركة مرتين .. مرة من خلال الأطفال ومرة من خلال الآباء أو الكبار بوجه عام .

هل يفهم الأطفال قيمة المشاركة عندما يسمحون لأطفال آخرين بمشاركتهم لعبهم عندما يقتسمون عن طيب خاطر وسماحة نفس وجبتهم المفضلة مع أطفال آخرين .. ؟

لقد حاول الباحثان اكتشاف قيمة المشاركة فى حياة الأطفال فى مراحل الطفولة المبكرة .. وكان سبيلهما إلى معرفة الاجابة .. ذلك السؤال الذى وجه إلى أطفال لا تزيد أعمارهم عن ثلاثة أعوام .. فى إحدى دور الحضانة الموجودة بمدينة ميسورى .

ما معنى كلمة مشاركة .. ؟

وهذه هى نماذج من اجابات الأطفال :

- المشاركة هى عندما أركب قطاراً كبيراً .. وآخذ لفة .. أدع صديقى « براين » يأخذ لفة هو الآخر .
- المشاركة هى .. أن أسمح لأصدقائى باللعب معى بكل عرائسى .. حتى يكفون عن الصراخ .

- المشاركة هى .. أننى أدع « أريك » يلعب بعربتى .. وعندئذ يصبح أريك أفضل صديق لى .
- عندما يأتى إلينا « ناثان » .. تقول لى مامى .. لابد من أن تشاركه لعبك وعندما أذهب إلى منزل « ناثان » لايسمح لى بمشاركته لعبه .
- فى منزلى لا أشرك أحداً من الأطفال الآخرين اللعب بعرائسى .
- حسناً .. أحيانا أشارك بعض الأطفال .. ولكننى أميل إلى أن أشارك نفسى .

النموذج والقدوة

والحق أن البحث الذى أعده الباحثان .. يلفت النظر إلى أهمية النموذج والقدوة فى تعليم الأطفال أهمية المشاركة .. فلا يكفى أن يلقن الآباء والمدرسين قيمة المشاركة عادة للأطفال .. أو يطلبون منهم مشاركة طفل آخر .. ولكن القدوة فى السلوك تحدث أثراً فعالاً من خلال الملاحظة الشخصية .. أكثر من تنبيه الطفل إلى استجابات بعينها لأنها ـ أى القدوة ـ تمد الطفل بمعلومات حول النموذج والسلوك الأمثل حتى ينفذه الطفل فى موقف خاص به .

ومن المدهش حقا .. أن نلاحظ أن القدوة ليست فقط تلك التى تحدد بسلوك الكبار المحيطين بالطفل .. ولكنها أيضاً يمكن أن يستقيها الطفل من سلوك زملائه من الأطفال .

إن كل الدراسات التى أعدت لمعرفة التأثير الاجتماعى للتليفزيون على سلوك الطفل تؤكد على دور القدوة التى يلتقى بها الأطفال من خلال القصص الإنسانية فى برامج الأسرة والطفل .. وتأثيرها الايجابى على تثبيت قيمة المشاركة فى نفوس الأطفال الذين يتابعون هذه القصص .

أثبتت الدراسات التى أجريت فى هذا الصدد .. أن الأطفال الصغار فى سن ما قبل المدرسة .. أكثر استجابة لقيم المشاركة والتعاون . لأنهم يعلمون جيداً أنهم بهذه المشاركة .. يستطيعون الحصول على العطف والحب من الكبار .. الأمر الذى يؤدى إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة .

إن الكبار الذين يقدمون الصداقة ويعرضون المساعدة على الآخرين لمنحهم المزيد من الحماية والعطف .. وفى الجانب الآخر .. يعبرون عن ثقتهم فى قدرات الطفل ومقدرته على العطاء .. ويستجيبون لمحاولات الصغار لجذب الانتباه .. أنهم جميعاً وبدون استثناء يوجهون سلوك الطفل إلى المشاركة الاجتماعية السليمة .

اللعب والمشاركة

ان استراتيجية التعليم فى العالم الحديث .. تؤكد على دور اللعب كعامل مساعد على تنمية سلوكيات المشاركة فى نفس الطفل .. وعندما يطلب من الأطفال أدواراً مختلفة ومن خلالها يجربون مشاعر

الآخرين وأحاسيسهم فان استعدادهم للمشاركة سوف يزداد بالتدريج .

ودور اللعب هنا هو أنه يمدنا بفرصة ذهبية لمعرفة ردود الأفعال المختلفة للطفل فى مواقف معروفة مسبقاً .. هل يدرك ويحس شعور الآخرين .. أو ما هى احتمالات تقوية شعوره بالمشاركة المطلوبة فى موقف معروف وواضح ؟

إن دور اللعب بهذا المفهوم قد يكون خارج مفهوم الطفل فى السن ما قبل المدرسة ولكنه ليس كذلك بالنسبة للكبار .

ان الطفل فى السن ما قبل المدرسة يحتاج دائماً إلى تنمية ادراكه بطريقة تمكنه من تكوين رأى خاص فى المواقف المختلفة .. انه فى حاجة دائمة أيضاً إلى أن يدرك أن الآخرين لا يرون الأشياء والمواقف المختلفة كما يراها هو (سوزى لا تعرف أننى لا أريد هذه اللعبة أيضاً) وهذا يقودنا إلى الاعتراف بالحقيقة التى تقول إننا لابد وأن نعير مواقف المشاركة كقيمة هامة وسلوك ايجابى فى الحياة اهتماماً خاصاً .. كما ننمى شعور الأطفال بحيث يكون على أفضل حال أثناء نموهم الانفعالى والعاطفى .. ونمكنه من تكوين مفهوم ا للتعاون والمشاركة كسلوك دائم فى الحياة .

ولكن كيف يفهم الأطفال كلمة « مشاركة » ؟ وماذا يقول الآباء للأطفال حول المشاركة وكيف يشاركون ؟

فى برنامج عملى طبق على أطفال دار للحضانة .. سأل الباحثان آباء الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ثلاثة أعوام هذا السؤال :

كيف تعلمون أولادكم المشاركة .. ؟

دعونا الآن نقرأ كيف أوضح ثلاثة من الأطفال كيف يتعاونون مع الآخرين وكيف يكون للآباء الدور الأول والفعال فى توضيح مفهوم المشاركة لدى الأطفال ..؟

حكاية شيسب :

قالت والدة شيسب : إن المشاركة هى التعاون .. وإنها تعلم أولادها المشاركة بالطريقة الآتية :

أطلب من شيسب وشقيقته أن يجدا طريقة لكى يلعبا سوياً .. وإذا لم ينجحا فى الاشتراك فى اللعب بها بدون صراخ أو شكوى .. فسوف أحمل اللعب بعيداً عنهما ولن أسمح لهما باللعب بها مرة أخرى .

ودخل « شيسب » التجربة العملية التى بدأت فى اللحظة التى دخل فيها حجرة خاصة واسعة وبها لعب كثيرة .. وعلى المنضدة كان هناك سندوتش من الزبدة وبعض المربى .. ثم زجاجة من العصير وبجانبها كوب الوجبة تكفى لطفل واحد وقيل له انها تخصه ثم غادرت الباحثة الغرفة تاركة شيسب وحده مع اللعب والطعام .. ولكن لم يكد شيسب فى تفقد الحجرة والاستمتاع بما فيها .. حتى أرسلت الباحثة طفلة أخرى لتشارك « شيسب » طعامه ولعبه .. فى البداية

تجاهل الطفل طلب صديقته الطفلة الأخرى بأن يعطيها قطعة من السندوتش .. ولكن الطفلة الصديقة أصرت على أن تترك الحجرة قائلة : عندما أعود .. سوف تعطيني بعضا مما معك أليس كذلك ؟ لم يرد « شيسب » ثم ذهبت الطفلة إلى خارج الحجرة وعندما اطمأن « شيسب » أسرع بحشر السندوتش كله داخل فمه .. ثم أمسك بالعصير وأعطاه لصديقته عندما عادت .

ان شيسب وجد طريقة ما للتعاون مع صديقته حسب مفهومه الصغير تماما كما كانت أمه تقول له .. لقد خلق السعادة فى قلب صديقته باعطائها العصير .. وفى نفس الوقت لم يظلم نفسه لأنه خصها بما هو أحب إليه وهو سندوتش الزبدة والمربى .

حكاية تابيثا :

والدة تابيثا قالت « ان المشاركة فى اللعب معناها اللعب بالتناوب وركزت على أهمية تعليم المشاركة للطفل كلما ظهرت مشاجرات الأطفال أثناء اللعب .. وضربت مثلا لذلك عندما أرى تابيثا تأخذ لعبة من صديقة لها .. أقول لها إن هذا خطأ .. ولابد أن تلعب بها هى أولا .. عندئذ تعود تابيثا لإعطاء الصديقة ما أخذته منها » .

ودخلت الطفلة تابيثا الحجرة للتجربة .. على المنضدة السندوتش والعصير .. ثم دخل إلى الحجرة صديق لتابيثا فى مثل عمرها « ٣ سنوات » وطلب منها جزء من الطعام .. ردت الطفلة

تابيثا بسرعة « بيكى - تقصد الباحثة - أعطتنى اياه .. إذن هو ملكى .. جلس الطفل الآخر يفكر فيما يفعله مع تابيثا .. ذهب اليها .. حاول أن يصرف نظرها عن السندوتش والعصير .. وطلب من تابيثا أن تأتى معه لكى يلعبا سويا فى منتصف الحجرة بعيداً عن الطعام والعصير .. وعندما ذهبا سوياً جرى الطفل بأقصى سرعة نحو السندوتش وحصل على قضمة سريعة منه .. ولكن تابيثا صرخت قائلة : لا وحتى عندما طلب منها الطفل الصديق أن يقتسما السندوتش .. رفضت تابيثا بشدة وقالت له : « .. بيكى أعطتنى إياه أولاً إذن هو ملكى .. ولن أعطيك أى قضمة منه » .

وبدا كما لو كانت تابيثا تحاول حل مشكلتها بنفسها بنفس الطريقة التى لقنتها اياها والدتها .. أو بالطريقة التى فهمتها من أبويها .. وهى أنها عندما تحصل على شئ أولاً .. فانها لا تتنازل عنه لأى شخص مهما كانت الظروف وفى كل الأحوال .

حكاية برايــن :

والدا براين قالا : انهما يعلمانه قيمة المشاركة بأن يظهروا له انهما أبوين يجعلان براين يشاركهما أشيائهما الخاصة . وتقول الأم : انه يساعدنى فى المطبخ فى تقطيع الأشياء ويشارك والده فى اللعب بالأدوات الموجودة فى محل النجارة بمعنى أن يتعلم « براين » أن لكل منا أشياءه الخاصة ولكننا جميعا نشاركه إياه أيضاً .

وعندما بدأ براين التجربة بقضم السندوتش .. حاول أن يساعد صديقه الذى طلب منه قطعة بقوله : اذهب إلى بيكى ستعطيك .. لم تعطه بيكى وعاد الطفل الآخر ليخبر « براين » بهذا قال براين : حسناً سوف نقتسم السندوتش سوياً .

اذن لقد بدا بوضوح أن براين يتبع نفس النموذج الذى أوضحه له والده .. أنه عندما أخذ السندوتش كان يعتبره خاصاً به .. وعندما طلب منه الصديق جزءا منه .. حاول أن يجد له مزيداً من الخبز بحيث يأكل كل منهما ما يكفيه ولكن نفاذ الخبز جعل براين يحاول حل المشكلة بأن اقتسم الخبز مع صديقه بحيث يستطيع كل منهما أن يأكل حتى ولو تصبيرة .

هؤلاء الصغار يوضحون لنا ما يفهمونه حول المشاركة كيف تكون عندما يعتمد عليهم فى حل مشاكلهم وفقا لاستراتيجية خاصة بمفاهيمهم الصغيرة .

ان ردود أفعال هؤلاء الأطفال أوضحت لنا أنه من المفيد أن نتساءل : ماذا يتعلم الصغار من الآباء والمدرسين حول « المشاركة » عندما يحاولون مساعدتهم على اكتساب مهاراتها المختلفة .

هل المطلوب منا كآباء ومدرسين أن نمد الطفل بخبراتنا الملائمة لكل موقف ؟ .. أم نساعدهم على ايجاد حل تعاونى لمختلف المواقف ؟ .. هل نشجع المنافسة أكثر من التعاون ؟ .. إننا نكون قد شجعنا ظهور الـ « أنا » بدلا من نحن .

والحق أنه عندما نميز طفلا بعينه دون الأطفال جميعا كى نعهد اليه بمهمة عمل هام أو نمتدح طفلا وضع لعبة بطريقة جيدة أو نمتدح الرسوم الجيدة .. إنما ندعم فكرة التنافس لتحقيق تميز شخصى بدلا من التميز الجماعى .. كما ندعم موقف الـ « أنا » لمن يمتلك الأحدث والأكثر والأفضل .. أكثر من تشجيعنا لموقف « نحن » .. حتى لو كانوا أطفالاً غير قادرين على التملك والامتلاك .

هل نخلق المواقف التى تتيح للطفل فرصة تقدير قيمة العطف .. وتبادل المحبة مع الآخرين .. ؟

تقول الدراسة : إن الأطفال فيما بين الثانية والسابعة قادرون على فهم سلوك .. « الايثار » ومحبة الغير .. حتى ولو لم يكونوا ـ عمليا ـ قادرين على التعاون الحقيقى مع الآخرين .. وهنا يمكن اقتراح أن الكبار الذين يسلكون نموذجاً مثالياً دائماً لابد وأن يتحدثوا عن شعورهم هذا تجاه الآخرين .. ويوضحون مفهومهم للحب والعطف فى أذهان الصغار .

وفى النهاية .. لابد من أن نضع فى اعتبارنا .. ما يمكن أن تقوم به قصص الأطفال وكتب التلوين التى تلعب دوراً كبيراً فى اكتساب الطفل حساسية خاصة تجاه حاجات الآخرين .. وهناك العديد من الكتب التى تساعد فى توضيح هذا المفهوم .. لأن المشاركة كسلوك ايجابى فى الحياة .. مطلوب تواجده سواء فى الصغار أو الكبار .. كما

أن قدرات المشاركة تتكون أساساً من خلال التعليم والفهم والإحساس بالآخرين والتفكير فى أحوالهم .

وفى عالمنا المعقد المشحون فان مفهوم المشاركة يجب ألا يتأكد فقط بين الأفراد بل يجب أيضاً أن يتضح كسلوك ايجابى مطلوب بين الدول .. فالتعاون ضرورى جدا إذا ماكنا نريد أن نعيش معا فى سلام .

ان التعليم المبكر للطفل فى سنواته الأولى لن تكون له قيمة دون أن نلقنه قيمة التعاون وعمليات المشاركة تلك الأفكار التى تبدأ مع الطفل مبكراً .. وتظل معه حتى يكبر ويعيش فى عالم يتطلب كل مجهود المشاركة والعطف .. لأنه من المؤكد أن الآخرين يطلبون نفس الشئ .

لذلك فانه على الآباء والمدرسين إعادة النظر فى تقدير قيمة المشاركة .. والضرورة الملحة لتعليم الأطفال أهمية المشاركة .. وبذلك نكون قد نجحنا فى خلق أبطال حقيقيين قد نجوا من أخطار الحقد الذاتى المدمر .

طفل الواجبات المدرسية

تعيش معظم الأسر فى بلادنا مشكلة يومية .. تبدأ مع بداية أى عام دراسي .. اسمها مشكلة « الواجبات المدرسية » .. والحق أنها مشكلة تثقل كاهل الصغار .. وتحرمهم من فرصة الاستمتاع بطفولتهم .. ويكفى أن ننظر إلى أى طفل فى أى مرحلة دراسية لنرى فى عيونه كماً هائلاً من الحزن والهم .. فلا نصدق أن مصدره كماً هائلاً من الواجبات المدرسية .. مصحوب بتهديد غير مباشر من المدرسة بانهيار فى مستقبل الطفل الدراسى والعلمى .. إذا لم يقم بعمل الواجبات المدرسية على أكمل وجه .

ان معظم الآباء يدركون تماماً .. أن الوقت الذى يقضيه الصغير فى عمل الواجبات المدرسية بعد يوم كامل من الدراسة .. هو وقت صعب .. ليس فقط بالنسبة للصغير ولكن بالنسبة للآباء أيضاً .. ولهذا فهم يحاولون بفطرة وذكاء أن يخففوا عن كاهل أولادهم بالتمهيد النفسى الذى يتمثل فى التهوين من شأن المجهود الذى سيبذله الأبناء فى أداء الواجبات .

لكن .. خوف الصغار يكون دائماً أكبر من محاولات التخفيف .. لأنهم إذا قاموا بعمل ـ فى رؤوسهم الصغيرة ـ بعملية حسابية للوقت الذى سيقضونه فى أداء جزء من الواجبات .. فسيسقطون فريسة للاحباط .. الأمر الذى يدفع الأهل إلى تأجيل كل أعمالهم وأوقات راحتهم للجلوس مع الطفل ومساعدته على أداء واجبات المدرسة .

الواجبات المدرسية إذن أصبحت رعب فى حياة الصغير وشبح يغتال أحلى أيامه .

والسؤال الآن هو : هل هناك طفل يستطيع تحمل كل هذا القدر من الارهاق ولمدة ١٢ ساعة يومياً بشكل متواصل ما بين المدرسة والبيت .. ؟

ان كل الدراسات الاجتماعية تؤكد أن أطفالنا يتحملون أخطاء لم يرتكبوها .. لأن الواجبات المدرسية بشكلها الحالى .. تعد بمثابة عذاب يومى مستمر للكبار والصغار على السواء .. فهى تعوق

الأطفال عن النمو الاجتماعى السليم .. وتقول دراسة أعدت حديثاً فى جامعة كولومبيا « ان الواجب المدرسى ليس هدف فى حد ذاته وإنما هو (وسيلة أو بمعنى آخر يجب أن يكون وسيلة لتنمية مهارات المذاكرة لدى الطفل بحيث يستطيع كلما تقدم فى الدراسة أن يستذكر دروسه دون مساعدة من أحد .. ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن التعليم والتربية عمليتان متكاملتان شكلا وموضوعا .. ولهذا فان على كل منا أن يتساءل : ما هى النتائج التى يحققها الواجب المدرسى للتلميذ المفروض أن يصير عبئ استذكار التلميذ مسئولية واضحة من مسئوليات المعلم حيث لم يعد التدريس مجرد تحديد لموضوعات يستذكرها التلميذ كل بطريقته .. ثم بعد ذلك يتبارون فى تسميع ما يحفظون .. ولكن ينبغى أن يصبح هذا التوجيه جزء من عملية التدريس .. بمعنى أن يتعلم التلميذ كيف يتعلم ؟ وكيف يستوعب ؟ ما تعلمه فى المدرسة وهذه العملية فى حد ذاتها تعتبر من نتائج التربية الحديثة وهى لا تقل بحال من الأحوال عن الحقائق التى يتعلمها .

لقد تعودت الأبحاث والدراسات التى أعدت فى الماضى على أن تفصل بين التعليم والواجبات المدرسية التى تؤدى تحت اشراف الأبوين .. أما الآن فقد امتزجت العمليتان فى عملية واحدة .. وأصبح لزاماً علينا أن نجد وسيلة ما للتخطيط لأداء الواجبات المدرسية داخل المنزل .

ويعتقد الكثيرون أن الواجبات المدرسية .. تحل مشكلة

التحصيل الدراسى الذى نفتقده بسبب تكدس الفصول .. ولكن الواقع يؤكد أن الواجبات المدرسية تخلق العديد من المشكلات داخل الأسرة وخارجها .. فهناك مثلا التلميذ الذى ينقل من تلميذ آخر .. وهو بهذا التصرف يحرم نفسه من فرصة الاستفادة من خبرة التعلم التى يتوقع المدرسون أنها تأتى من الواجب المدرسى .. وأيضاً حطم الهدف من الواجب إلى جانب آثاره السيئة على خلق التلميذ وروح الانتماء عنده .. ولا يخفى علينا أن معظم آلاف التلاميذ يقومون بهذا العمل ولا يشعرون بالإثم من جراء ذلك .

وإذا افترضنا ـ تجاوزا ـ أن قلة من الأطفال هى التى تفعل ذلك ، فان المساعدة التى يتلقاها التلميذ فى أداء واجباته المنزلية تتفاوت من تلميذ إلى آخر حسب ظروف كل تلميذ وإيمان أسرته بقيمة الواجبات وجدواها .. بالاضافة إلى أن الآباء أيضاً يستخدمون طرقاً مختلفة تماما عن تلك التى تعلمها الطفل فى المدرسة كما أن بعض الآباء يعتبرون وقت المذاكرة وأداء الواجبات المدرسية هو وقت الضرب والصياح والبكاء من جانب الطفل . بينما تتخذ المساعدة صورة أخرى أكثر عطفا عندما يقوم الآباء بانجاز الواجب المدرسى بدلاً من أبنائهم .. وهناك آباء آخرون يعتبرون الواجبات المدرسية .. هى رمز العداوة بينهم وبين أبنائهم .. وتظهر هذه الحالة عادة فى مرحلة المراهقة المبكرة .. وذلك بدلاً من أن يكون هو رمز لدعم العلاقات والروابط الأسرية .

اننا نعرف أن الواجبات المدرسية التى يؤديها الطفل فى المنزل تزيد من احساسه بالتوتر .. فإذا لم يستطع أن يقاوم إغراء التليفزيون أو إغراء اللعب مع غيره من الأطفال يعتقد فى قرارة نفسه أنه ضعيف الإرادة وأنه عبداً لأهوائه .. ومن ناحية أخرى فان الاستذكار حتى ساعة متأخرة من الليل مما يصيب التلميذ بحالة اكتئاب نفسى وخصوصاً ذلك التلميذ الذى يتمتع بضمير حى .. ويمكن أن يصاب بحالة من القلق .

ولسوء الحظ .. ان المدرسين فى المدارس لا يكلفون التلاميذ بالواجبات المدرسية بناء على خطة موضوعة ومدروسة علمياً ومتفق عليها بين مدرسى المواد المختلفة .. وبذلك يسيئون تقدير الوقت الذى يتطلبه انجاز هذه الواجبات .. بل إننى لا أبالغ إذا قلت إن بعض المدرسين يكلف تلاميذه بواجب مدرسى كعقاب لهم على سوء السلوك الفردى أو الجماعى .. وبذلك ينظر التلاميذ إلى الواجبات المدرسية على أنها عبء إضافى ثقيل بعد يوم دراسى كامل .. وهذا الشعور فى حد ذاته يضعف اهتمام التلميذ وحماسه فى القيام بأنواع النشاط المدرسى .. ولهذا ينبغى أن نحدد أسباب التعب والإحباط والشعور بعدم الرضا الكامل عن المدرسة إلى سببين هامين .. أولهما التوجيه غير السليم والثانى الواجبات المدرسية المبالغ فيها .

ومن ناحية أخرى فان الواجبات المدرسية ذات الطابع العملى

تؤدى إلى نتائج ايجابية ذات قيمة فى توثيق العلاقة بين الآباء والأبناء لأنها تنجح فى إثارة اهتماماتهم المشتركة .

والقول بأن الواجبات المدرسية هامة كخطوة على طريق التفوق الدراسى .. يمكن أن ينطبق فقط على الواجب الذى يلائم التلميذ والذى يتم تحديده بدقة .

وقد يكون من المفيد هنا أن نشير إلى تلك التجربة التى أجريت على مجموعة من تلاميذ المرحلة الابتدائية فى السويد .. حيث أخذ التلاميذ وقسموا إلى مجموعتين متساويتين من حيث نسبة الذكاء والدرجات السابقة .. وكلفت المجموعة الأولى بقراءة الموضوع فى حجرة الدراسة ثم كلفت المجموعة بقراءة الموضوع فى المنزل .. ثم اشترك الجميع فى مناقشة الموضوع حيث طبق على المجموعتين اختباراً موضوعياً وبعد فترة أعيدت التجربة ولكن بشكل عكسى .. فى البداية كانت المجموعة التى كلفت بقراءة الموضوع فى المنزل أعلى مستوى من المجموعة التى قامت بقراءة الموضوع فى حجرة الدراسة ولكن بمضى الوقت بدأ أفراد المجموعة الثانية التى لم تقم بالواجب المنزلى بالاشتراك فى المناقشة باهتمام وشغف .. بل إن البعض منهم أنهى قراءة الموضوع المطلوب بسرعة حتى يشارك المجموعة الأخرى فى المناقشة .

وتشير التقارير التى أعدتها بعض المدارس عن أثر الواجب المدرسى فى التحصيل الدراسى .. أهم هذه النتائج أن التلاميذ الذين

لم يكلفوا بواجبات انصرفوا إلى أنواع النشاط الأخرى مثل التمثيل والرقص والرسم .. وكل أنواع النشاط التى تثير اهتمامهم .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض المعلمين لاحظ أن الواجب المدرسى المنزلى إذا كان مبالغاً فيه يؤدى إلى الارهاق .. ويؤثر الارهاق فى أداء التلميذ فى اليوم التالى .. ولهذا طلب أحد نظار المدارس من الآباء أن يتعاونوا معه فى القيام بتجربة جديدة لانقاص الواجب .. على أساس أن الارهاق فى عمل الواجب يؤثر فى نشاطه فى اليوم التالى داخل المدرسة .. فاقترح أن يكلف التلميذ بواجبات منزلية فى مادتين فقط كل يوم .. وحدد الوقت الذى يقضى فى القيام به بساعة كل يوم ما عدا أيام العطلة الأسبوعية .. وقد طلب إلى الآباء أن يلاحظوا أى دليل على نقص التوتر والاجهاد أو الشغب النسبى الذى يبديه الأطفال فى قيامهم بالواجب كما طلبوا من الآباء أن يلاحظوا مدى استخدام الأطفال لوقت الفراغ فى القيام بنشاط مفيد .. وأيضاً مدى التحسن فى النوم والصحة العامة .. والمهم أن الغالبية من الآباء ذكروا أن انقاص الواجبات المنزلية قد حقق نتائج ايجابية فيما يتعلق بصحة الأبناء .. أكثر من هذا أن ٩٠ ٪ من الآباء قالوا انهم لا يميلون إلى العودة إلى زيادة الواجبات المدرسية .

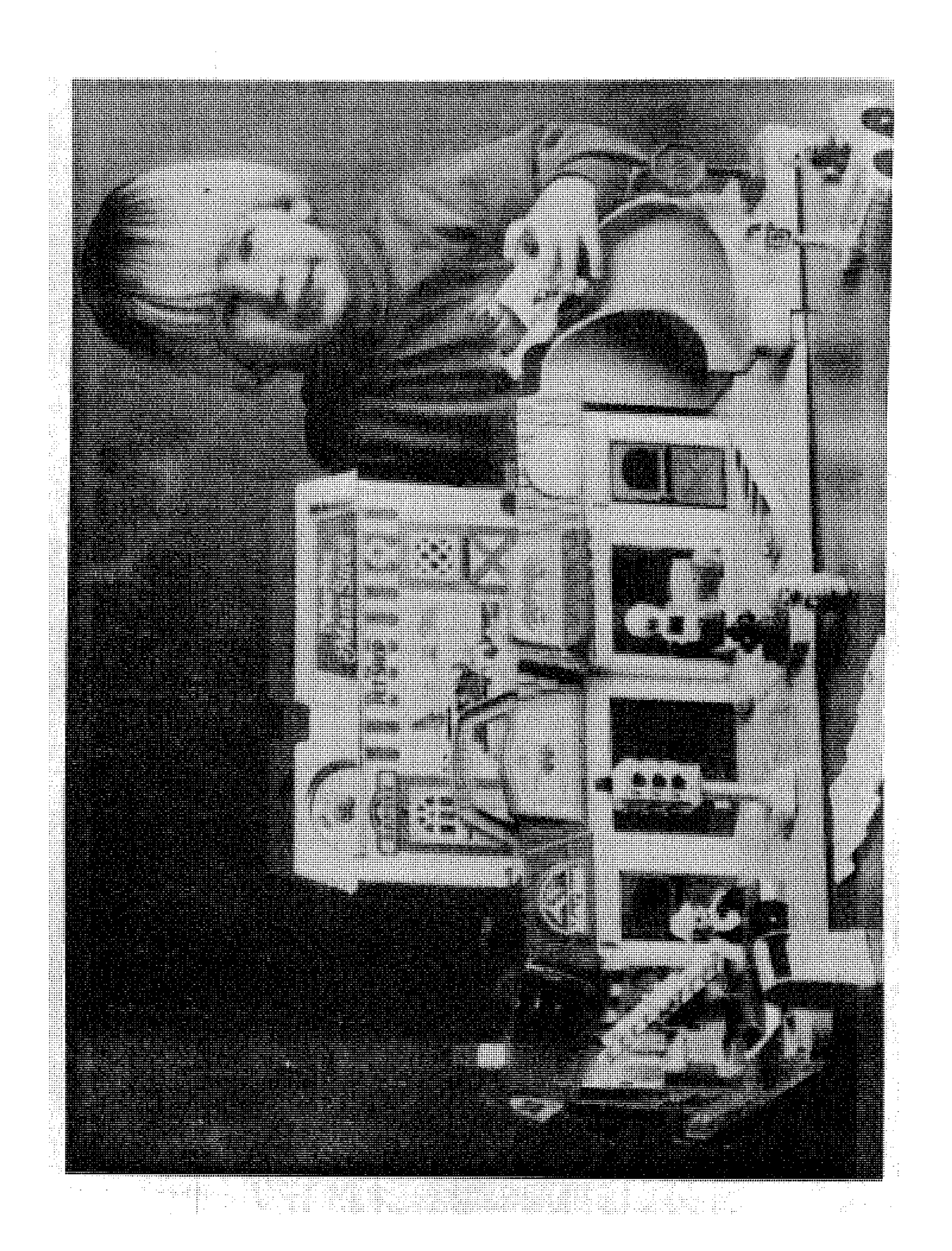
وبناء على تلك النتائج فقد أوصت الدراسة بضرورة مراعاة عدة اعتبارات عند اتخاذ أى قرار يتعلق بالواجب المنزلى .. من هذه الاعتبارات .. الظروف المنزلية .. وعلاقته بالوقت الذى يقضيه

التلميذ فى المدرسة .. ومدى حماس التلميذ للقيام به وأشارت الدراسة أيضاً إلى تحسين طرق القراءة والتدريس التى تشرف عليها المدرسة وإعادة تقويم المنهج .. ستؤدى حتما إلى جعل الدرس والتحصيل بالمنزل خبرة تعليمية نافعة ومفيدة عند التلميذ .

وقد يكون من المفيد أن نذكر أن المدارس حاولت ـ ولم تزل ـ تعديل وتطوير ما تكلف به التلميذ من واجبات .. وكانت تتجه إلى التقليل بقدر الامكان من الواجبات .. وفى نفس الوقت تتجه إلى زيادة المواد العملية التى تحث على المثابرة والابتكار .. مثلما يحدث الآن فى مدارس الدول الأوروبية التى ألغت الاستذكار بالمنزل واقترحت :

* ألا يكلف التلميذ فى الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية بواجب مدرسى يحدده المدرس .
* أن يقتصر الواجب على أربع أيام فى الأسبوع .
* ألا يتوقع من التلميذ أن يعمل فى المدرسة الابتدائية أكثر من ساعة يومياً .

وتؤكد الدراسة أنه إذا توفرت للتلميذ عدة ساعات قد تصل إلى يوم كامل فى منتصف الأسبوع بدون واجبات اضافية فانه يكون بمثابة فرصة لتنمية ذوقه ومهاراته الخاصة فى الفن أو الموسيقى فضلاً عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية بشكل أكثر فعالية .



ان الاتجاه السائد الآن هو الأخذ بمبدأ الواجب المنزلى الذى يتسم بالابتكارية والترويح فى وقت معا .

ان معظم المدارس فى دول عديدة تخصص وقتاً للاستذكار داخل المدرسة وهو ما يسمى بالتعلم داخل حجرة الدراسة .. وعادة ما يخصص هذا الوقت لاختبار التلميذ فيما تعلمه .. وقد تبين أن هذا النظام يساعد التلميذ البطئ التعلم كما يساعد فى تعلم التلميذ العادى .. وهو أيضاً مناسب تماماً للتلاميذ الذين يعيشون فى أماكن بعيدة والذين يعيشون فى ظروف يتعذر فيها توفير المناخ المناسب للاستذكار ويتم ذلك عادة بعد فترة ترفيه مناسبة .

ان هذه الطريقة تعد من أهم الطرق التى تؤدى إلى نتائج ايجابية مرغوبة منها الإكثار من القراءة الحرة .. اتاحة الفرصة أمام التلميذ لكى يتحمل مسئولية استخدام الوقت فى القيام بنشاط ذى قيمة .. الأمر الذى يؤدى إلى الإقلال بدرجة كبيرة من التبرم بالمدرسة وعدم الرضا الكامل عنها .

وثمة اقتراح ربما يناسب ظروفنا وهو تخصيص فصول لعمل الواجبات المدرسية فى أثناء اليوم الدراسى .. وفيه يمكن أن يلتقى الأطفال لمدة ساعة أو ساعتين تحت اشراف المدرسة .. حيث يقضون جانباً من الوقت للاستذكار .. بالاضافة إلى أن هذه الحصص سوف تلعب دوراً هاماً فى اشباع الجانب النفسى والاجتماعى اللذين يحتاج اليهما التلميذ .. كما تفى بالغرض الذى نبتغيه من الواجبات المدرسية .

أما الاقتراح الثانى فهو تخصيص الحصة الأخيرة من الدراسة لعمل الواجبات . وهذا الاقتراح يمكن أن يكون فرصة لتعويد الطفل على استخدام المكتبة كجزء هام ومطلوب فى العملية التعليمية .

والحقيقة أن الاستذكار فى حد ذاته يعتبر عادة .. ولهذا قامت بعض المدارس فى أوروبا بتخصيص يوم واحد فى الأسبوع لتنمية مهارات الاستذكار التى تقوم على الاعتماد على النفس .. وبمقتضى هذا الاقتراح تترك هذه المدارس يوماً واحداً فى الاسبوع فيه يفعل الطفل ما يحلو له .. وفيه أيضاً يلغى جدول الحصص .. ولكن يوجد بدلا منه مساعدة فردية من جانب المدرسين لكل طفل على حدة .. فى حين يقوم آخرون برحلات جماعية يشترك فيها الطلبة مع الأساتذة .. وخلالها يتلقى الطالب خبرة من الخبرات المتنوعة التى يحتاج إليها .. وهذه الطريقة إلى جانب فوائدها العلمية والعملية تؤدى إلى مساهمة الطلبة مع المعلمين فى القيام بعمليات التخطيط .

وهناك تجربة يجب الإشارة إليها .. فقد لجأت بعض المدارس فى ولاية أوهايو الأمريكية إلى تخصيص ثلاث ليال فقط كل أسبوع لعمل الواجبات المنزلية .. ويزداد الوقت المخصص لذلك من ساعة إلى ساعة ونصف فى اليوم .. ويتوقع المعلمين فى هذه المدرسة أن يستذكر التلميذ فى السنة الثالثة والرابعة ساعتين كل اسبوع دون أية مظهر من مظاهر الكبار إشراف الكبار بشكل عام أو الآباء بشكل خاص .

والمفروض أن يكون الواجب الذى يؤديه التلميذ فى العطلات هو واجب اختيارى وأن يتسم بالترويح والابتكار بدلاً من أن يكون عملاً نمطياً .. وألا يقتصر على القراءة والكتابة (يعكر صفوه التهديد المستمر باجراء الامتحان فيه) .

والحق أن الهدف من الواجبات المدرسية ما زال فى حاجة إلى تحديد واضح فينبغى أن يتضح فى أذهان المدرسين .. ما هى مقومات الاستذكار بالمنزل كهدف من أهداف الواجب المنزلى .. بالإضافة إلى حاجتنا إلى تجارب مدروسة تنبع من الطريقة المثلى التى يجب أن يتعلم بها التلميذ المادة .. بحيث نستطيع أن نتبين ما هو أثر الواجب فى عملية التعلم فى حد ذاتها .

وتشير معظم التجارب التى أجريت فى هذا الصدد .. إلى أن التحصيل الدراسى غير مرتبط بالواجب المدرسى .. بمعنى أن المذاكرة التى تنبع من مبادرة التلميذ .. وبارادته الخاصة .. ينتج عنها خبرات تعليمية قيمة وتستحق الوقت الذى تستغرقه خارج المدرسة بعكس الواجب الذى يؤديه التلميذ مرغما وبطريقة آلية بحتة .

ومن الدراسات الهامة فى هذا المجال .. دراسة أعدها « ساشان روبرت . ل » حول الواجب المدرسى .. اتضح منها أن الواجب المدرسى الذى يتيح للطفل حرية العمل مع الاحساس بالمسئولية .. يؤدى إلى نمو التلاميذ من حيث الاعتماد على النفس والثقة بها .. وقد قررت الدراسة أيضاً أن هناك فروقاً فردية فى فاعلية الأنواع المختلفة

للواجب مع كل تلميذ على حدة .. اننا فى حاجة إلى دراسة أبعد وأعمق فيما يتعلق بأثر الواجب المدرسى فى الأطفال ذوى القدرات المختلفة .. وفى ظل الظروف التى يعيشها كل طفل .

وإذا كنا فى حاجة إلى تكليف التلميذ بالواجبات المدرسية كجزء مكمل لعملية الاستذكار فانه يصبح علينا واجباً أساسياً هو شرح الطريقة المثلى للمذاكرة من خلال أداء الواجبات المدرسية مع تخطيط الأفكار الأساسية .. وتلخيص الموضوع ثم اعادة قراءته مرة أخرى لكى يتمكن التلميذ من فهمه واستيعابه .

وربما يأتى اليوم الذى تختفى فيه الشكوى من التليفزيون كمنافس خطير للواجب المدرسى .

لقد حاول أحد الباحثين أن يجيب على السؤال الذى يحير كلا من الآباء والمدرسين وهو : ماهو شعور التلاميذ إزاء الواجب المدرسى .. وكانت الاجابة هى أن معظم التلاميذ وخصوصاً هؤلاء الذين مازالوا فى المراحل الأولى من الدراسة يعترضون على أداء الواجبات المدرسية .. فى حين يستمتع الأذكياء بالواجبات ذات القيمة الابتكارية .. ويضيف أن أى معلم يستطيع أن يحصل على معلومات قيمة حول الواجب المدرسى بشرط أن تكون علاقته مع الأطفال طيبة بدرجة كبيرة .

وإذا كنا قد تعرضنا لمشكلة الواجب المدرسى كظاهرة اجتماعية تعانى منها معظم الأسر .. فقد حان الوقت الذى يجب أن نناقش فيه

المشكلة من ناحية الصحة النفسية للطفل .. والواقع أن معظم التلاميذ يهتمون بالواجب المدرسى إذا كان يدور حول ما يثار فى حجرة الدرس .. وينفرون منه إذا كان انجازه يتطلب حرمانهم من أشياء هى فى رأى علماء التربية الحديثة حق من حقوق الطفل الأساسية فى اللعب والاستمتاع والترفيه والترويح وأخيراً التعلم .

المهم إذن هو الاهتمام بالطفل ككائن بشرى يحتاج إلى الراحة كما يحتاج إلى التعلم تماماً .. بالإضافة إلى تغيير نظرة المدرسين والقائمين على التعليم إلى الطفل كفرد له ملكاته الخاصة ومواهبه وقدراته التى أرهقت بحيث أصبح أقل سعادة وأقل طفولة عن غيره من أطفال العالم .. حيث كل شئ مسخر لخدمة الطفل .. ولا شئ فى النهاية يضيع هباء .

عندما تتحول الحدوتة إلى علاج ودواء

منذ زمن طويل ونحن ننظر إلى أطفالنا وكأنهم حيوانات تحتاج فقط إلى الطعام والشراب والأجهزة العصرية .. وصار همنا الأكبر توفير هذه الأشياء لهم .

منذ زمن طويل .. وعيون أطفالنا زائغة بين الفاترينات الملونة والشاشات الملونة . منذ زمن طويل .. ونحن نهمل أطفالنا .. لم نعد نحكى لهم الحواديت الشيقة والحكايات المسلية .. وإنما تركنا كل ذلك للتليفزيون الملون .. ونسينا فى زحمة .. انشغالنا بمطالب الحياة التى لا تنتهى .. أن هذه الحواديت كانت ولا تزال .. تلعب دوراً أساسياً

وفعالاً فى تهذيب سلوك الطفل وتنمية مداركه الغضة .. وتقوم أيضاً بدور المربى الفاضل الذى يتجنب بذكاء النصح المباشر أو العقاب البدنى الذى يأنف منه كل الأطفال .

ولهذا فقدنا كل الصلات الحميمة التى كانت تربطنا بأطفالنا .. وفقد الأطفال .. بدورهم الأمن الاجتماعى الذى يحتاجون اليه فى كل مراحل نموهم المختلفة .

من خلال الحدوتة نستطيع أن نلقن الصغار تجربتنا مع الحياة بكل ما فيها من مخاطر .. تماما كما كان يفعل أجدادنا فى الزمن القديم .. عندما كانوا يتفننون فى التعامل مع الطبيعة على أساس أنها حية .. وأنهم يستطيعون تركيز ارادتهم فى التغلب عليها .. أما بالقوة أو بالحيلة أو بالترضية .. وهذا بالضبط ما يحدث لو تأملنا سلوك أى طفل نجده يحاول .. عندما يستعصى عليه أى شئ .. التغلب عليه بكل الطرق أما بالانتقام أو بالترضية أو الهرب .

والحقيقة أن لهذه المظاهر جميعها أثراً عظيماً فى أدب الأطفال .. وأبرز مثال على ذلك كتاب كليلة ودمنة وبعض الحواديت فى الأدب الأوروبى .

وبشكل عام .. تقوم الحواديت بتحقيق هدف تربوى فى كبح جماح شطحات الطفل بطرق مختلفة .. أما بالتحذير أو بالتخويف أو بالنصح والإرشاد غير المباشر .. بعيداً عن وسائل العقاب البدنى المعروفة التى تغرس فى الطفل ـ كما تقول كتب علم النفس التربوى ـ

الكراهية والبغض .. كما تلعب الحدوتة دوراً فى تأكيد الترابط الأسرى وحب أفراد الأسرة بعضهم لبعض .. كما تؤكد معانى الصداقة والإخوة وتفضيلها على ما عداها فى كل الأوقات .

ولأن الأسرة هى الوحدة الأولى فى المجتمع التى تستطيع أن تتخذ من الحدوتة وسيلة فعالة ومضمونة لتعليم الأبناء جزاء العمل الطيب .. وأن العمل الشرير لابد وأن يلقى عقابه يوما .. إذن لابد للأسرة من أن تولى اهتماماً كبيراً بالحدوتة على أساس أن رواية الحدوتة بطريقة مشوقة للطفل .. يجعلها تتغلغل فى عقله الباطن وتبقى فيه ثم تظهر سلوكاً سوياً بعد ذلك .

والحقيقة أن الأم مسئولة تماماً عن اختيار الحدوتة المناسبة لعمر الطفل فى سنواته المبكرة .. تلجأ إلى القصص البسيطة التى يدركها عقله والتى يلعب دور البطولة فيها أشخاص محدودون .. بحيث يستطيع الصغير أن يركز انتباهه ويتفهم محتواها . أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فعلى الأم يقع عبء انتقاء الحدوتة التى تتحدث إلى البنات بما يناسب أعمارهن وإلى الأولاد بما يناسب أعمارهم أيضاً ويمكن أن تطول الحدوتة فى هذه السن ويضاف إليها العديد من التفاصيل التى تخدم الهدف .. ويمكن استخدام الحكايات لرواية الكثير من الأحداث التاريخية للأطفال فى تصوير صادق ودقيق .. متصل بالمناخ الذى أحاط بهذه الأحداث .

ويركز علماء التربية على الحدوتة والحكاية وخاصة تلك التى

تتخذ من الحيوانات رموزاً تختفى وراءها أبطالاً تتكلم وتدبر وتفعل .

والجدير بالذكر أن العالم العربى من أغنى دول العالم بتراثه الشعبى من القصص والحكايات والحواديت والأمثال التى تزخر بتجارب عديدة مكونة فلسفة خاصة عن شئون الحياة ونظرة الناس لها .. ولكنها حتى الآن تفتقر إلى الجمع والتنسيق المبسط الذى يخدم أغراض التربية .. وذلك كما فعل الاخوان جريم عندما قاما فى أول القرن التاسع عشر بجمع الحواديت الشعبية فى المانيا فى مجموعات قصصية للأطفال بلغت أكثر من ٢٠٠٠ حدوتة .. وكان لها تأثيرها البالغ فى الحياة الأدبية فى المانيا أولاً وفى أوروبا بعد ذلك .

وفى انجلترا .. أصدرت مؤسسة « هاملين » ومقرها لندن ولها فروع فى نيويورك وسيدنى باستراليا وتورنتو .. سلسلة من قصص الأطفال .. بدأت منذ عام١٩٧٥ ، الهدف منها إثارة خيال الطفل وحثه على الاهتمام بأشياء ذات قيمة فى الحياة ، وهذه القصص مليئة بالخيال والتسلية .. كما يصدر سلسلة أخرى من كتب الأطفال التى تساعد الآباء والمدرسين على اختيار أنواع من الأنشطة يؤديها الطفل باختياره الخاص ولكنها ليست مجرد ألعاب وأنشطة ليس لها أى هدف .. إن الهدف الأساسى منها هو تنمية مهارات الطفل المختلفة وهى المهارات التى تساعده على تعلم القراءة قبل السن المدرسى .. ويقوم بتأليف هذه الكتب فريق من المتخصصين والخبراء فى تربية الطفل من أمثال « جويس . وولش » وهو من مجلس تعليم اللغات

للأطفال في المرحلة الابتدائية ، وبربارا تايلور المُدرِسة باحدى المدارس الابتدائية بانجلترا وتساهم فى اعداد برامج الطفل بالاذاعة البريطانية مثل برنامج الأطفال المعروف « انظر واقرأ » وبرنامج « كلمات وصور » .

ومما يذكر أن هذه الكتب توضع خصيصاً لمساعدة الكبار على فهم نفسية الطفل فهى مؤلفة وفقا لأحدث ما وصلت إليه أبحاث علم النفس التربوى فى العالم وهو مزود بصور بهيجة وملونة تشجع الطفل على فهم معانى الكلمات التى يريد المؤلف أن يوصلها للطفل وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن :

١ ـ فقاعة الماء السحرية .

٢ ـ البالون السحرى .

٣ ـ التنين الشره .

٤ ـ عندما يتحول المطر إلى شيكولاتة .

٥ ـ اللحية الطويلة .

٦ ـ ألعاب المارد .

٧ ـ الموزة الزرقاء .

٨ ـ دكان بـوب .

كيف يقرأ الأطفال هذه القصص :

* يجب أن يتعلم أفراد الأسرة فى البداية كيف يتعلم الصغير القراءة أولاً ثم الكتابة بعد ذلك .. على أن يحاول الكبار فى الأسرة أن يقرأوا القصة بصوت عال على مسمع من الطفل .. ثم يناقش الطفل بصبر ما فهمه من القصة .

* يجب أن يترك الطفل لكى يقرأ القصة من خلال الصور فقط .. ثم يطلب منه بعد ذلك أن يحكى ما فهمه من القصة .

* يجب أن تتاح للطفل الفرصة لكى يقرأ كل كلمة .. حتى يشعر أنه قادر على المحاولة .

* يجب أن يقرأ الطفل مع الكبار القصة أكثر من مرة قبل أن ينتقل إلى قصة أخرى .

* لا يطلب من الطفل أن يقرأ بناء على رغبة الكبار في ذلك .. ولكن يجب أن يقرأ باختياره هو مع مراعاة حالته النفسية والوقت المتاح أمامه للقراءة وإلا فلن يفيد الطفل من القراءة بل وستصبح القراءة بالنسبة اليه عبئاً ثقيلاً يحاول التخلص منه عندما تحين الفرصة .

* البعد عن محاولة اختبار الطفل فى قراءة الكلمات بأن نخفى الصورة ونريه الكلمات فقط أو نريه كلمة دون باقى الكلمات لكى نعرف إذا ماكان يمكنه قراءتها .. وغير ذلك حتى يتجنب

الشعور بخيبة الأمل أو الاحباط إذا حاول أن يعرف الكلمة ولم يستطع .

* إذا أظهر الطفل رغبة فى أن يعرف القصة عن طريق السرد فقط .. يجب أن تحدث استجابة فورية لطلبه لأن هذه الطريقة كفيلة بتعليمه الكثير من قواعد القراءة .

* على الكبار فى الأسرة أن يجدوا الوقت الكافى لكى يقرأوا للطفل بصوت عال مرة على الأقل كل يوم .. إن هذا يساعدهم على تعلم قراءة القصص بسرعة ويساعدهم فى نفس الوقت على الاستمتاع بها .

* يجب أن يستعان بالكتب المتخصصة لمساعدة الكبار على تعليم الطفل القراءة .. وهذه الكتب مثل تكوين الكلمات أو وضع الحروف بجانب بعضها بحيث تكون فى النهاية كلمة لها معنى .

* يجب أن يكون وقت القراءة وقتاً ممتعاً للطفل وليس واجباً عليه المفروض أن يؤديه شاء أو لم يشأ كما لابد من تجنب الاختبارات والبعد عن جو المراقبة الشديدة .. وأن يشجع الطفل على أى مجهود يبذله فى القراءة .. ولكن دون أى مقارنات بينه وبين غيره من الأطفال الآخرين فى هذا المجال .

* يجب أن يعرف الكبار أن الطفل يفضل أن تثار اهتماماته لكى يقرأ ما بين يديه وهو فى كل الأحيان ينجذب إلى الصور فى البداية وخاصة الصور الملونة الجميلة .

* ان الأطفال عندما يقرأون القصص لأول مرة يستدعون معرفتهم السابقة باللغة قبل تعلمهم الكتابة والقراءة فهى ترشدهم وتساعدهم على تخمين الكلمات التى يقرأونها ولا يعرفون معناها .. إذن فمن الممكن أن تكون لغة كتب الأطفال بشكل عام لغة تتميز بالبساطة .. قريبة الشبه إلى أقصى حد ممكن بلغة الطفل البسيطة المعبرة وفى نفس الوقت يجب أن تصبح هذه القصص بعيدة كل البعد عن الجمل الطويلة المعقدة .

* ان الطفل يبحث طوال الوقت أثناء قراءته للقصة عن معان أو مجموعة المعانى التى تكمن وراء مايقرأه .. من المهم إذن تجنيبه ما أمكن عملية البحث عن معان لمفردات الكلمات ومحاولة التعرف عليها وفهمها بشكل فردى .. ولكن يجب أن يتعلم أن يقرأ مع محاولة فهم معنى الجملة أو الفقرة ككل .. ولن يستطيعوا تحقيق أو تنفيذ هذه النصيحة إذا كانت الكتب التى بين أيديهم بعيدة فى ذات الوقت عن مستوى تفكيرهم .

* تجنب القراءة بطريقة مخالفة لطريقة المدرسة إذا كان الطفل يتعلم القراءة فى المدرسة .

وهناك سلسلة أخرى تصدر فى الولايات المتحدة .. مؤلفها هو الدكتور « ليستر فيشر » خبير أبحاث الطفولة المبكرة وقد اختيرت كل محتوياتها وحتى عناوينها بعناية شديدة تتوافق مع أسس التربية الحديثة فى العالم .. وتتضمن الموضوعات المليئة بالخيال وأيضاً الحقائق

الطبيعية عن الحياة .. والمهم أن هذه الكتب تثير لدى الطفل العديد من التساؤلات مما يجعله يبحث عن الاجابة عليها بنفسه .. وتشمل هذه المجموعة أيضاً كتب المغامرات التى تستهوى الصغار فيما بين الثامنة والثانية عشرة .. ثم كتب الفكاهة التى تسلى الطفل وتعطيه فى نفس الوقت قيماً محددة من خلال الضحكة والبسمة والفكاهة الهادفة .

والحق أن هذه السلسلة تباع بأثمان فى متناول جميع الآباء وتعد بمثابة نوع من الأدب الجيد الذى يمتع الطفل فى سن مبكرة .. وهى لذلك تساعد الآباء الذين لا يتسع وقتهم للقراءة على التعرف على هذا الأدب .. أكثر من هذا فإن هذه السلسلة تنمى فى الطفل حب القراءة فى سن مبكرة .

ولعل السؤال التقليدى الذى يحتار كل من الآباء والمدرسين فى الاجابة عليه وهم يسمعونه بصفة منتظمة من الأطفال فى أعمارهم المبكرة هو « لماذا ؟ » .. ولذلك فان هذه السلسلة تساعد الآباء على الاجابة على كل علامات الاستفهام بدون جهد وبدون مداراة للحقائق تلك التى تنبع من عدم الإلمام الكافى بالمعلومات أو من عدم وجود الوقت الكافى للبحث عن الاجابة الصحيحة عن المعلومة موضوع السؤال .

ان البيات الشتوى مثلاً وهجرة الطيور .. وأيضاً عمليات تغيير لون الجلد الذى تسبغه الطبيعة على الحيوانات بهدف الملائمة والحماية .. كل هذه الأشياء جزء من الطبيعة ومن حق الطفل أن

يعرف كيف يحدث هذا ؟ ولماذا يحدث ؟.. لأنه يسمع فقط عن هذه الأشياء دون أن يعرف السبب وراء حدوثها .

ويمكن أن تكون الأسئلة التى يلقيها الطفل هى التى تمده بالمعرفة وعن طريقها يمكن تنمية مهاراته المختلفة وقواعد التفكير السليم .. ولذلك فان هذه السلسلة تعلم الطفل كيف يضع الفروض المحتملة لظاهرة معينة ؟ .. كما تعلمه كيف يصبح مستمعاً جيداً ؟ .. لأن الاستماع الجيد فى حد ذاته له دور مهم فى عمليات النمو الذهنى للطفل .. وهى لهذا تعد تجربة مفيدة لكل من الآباء والأطفال فى وقت واحد .

أطفال آخر زمن ..
في العالم المتقدم

.. يجيئ هذا الفصل استجابة لرغبتى فى استكمال التعريف بمكانة الطفل خارج حدود البيئة المصرية والعربية .. وهى مكانته فى بلدان العالم المتقدم ، الذى قطع شوطاً بعيداً فى العلوم والطب والفضاء .. وأصبح واضحاً أنه يعتز بأطفاله عناية تلائم معطيات العصر والمكان .. وبالرغم من كل النوايا الصادقة لدى قوانين حماية الطفولة فى هذه البلدان واعتبارهم الطفل الجديد ، مستقبل جديد ، وغد جديد .. فإنهم أيضاً يناضلون من أجل سعادته فى محاولة للقضاء على كل المشاكل التى تعوق تقدمه .

ونحن هنا فى بلادنا العربية ، سيظل الطفل العربى ضائع الحق ، مشتت المستقبل حتى يتم القضاء نهائياً على الأمية المتغلغلة فى حياتنا العربية .. وهى السبب الرئيسى وراء تخلف أطفالنا وتراكم مشاكل التعليم والتطور والابداع .

خط تليفونى ساخن بين الأطفال والمدرسة لعمل الواجبات المدرسية :

يواجه كل تلميذ بين حين وآخر ، مشكلة إزاء الواجب المدرسى . وقد لا يستطيع هذا الطالب حل مسألة رياضية أو إيجاد الجواب على سؤال فى أحد المواد الأخرى ، وإذا لم يستطع والداه مساعدته فانه قد لا يستطيع إنهاء الواجب فى الوقت المحدد له .

لذلك كانت فكرة عمل خط تليفونى ساخن بين التلاميذ وبين المدرسة ، وفى مدينة (سولت ليك) يتصل الطلاب من جميع الأعمار بالخط الساخن ، وهو عبارة عن خدمة تليفونية خاصة يؤديها نظام المدارس العامة فى المدينة .

ويجيب على هذه المكالمات التليفونية عادة ، معلمون وطلاب الدراسات العالية فى الجامعات ، ولا يقوم هؤلاء بإعطاء الحلول للتلاميذ ، ولكنهم يساعدونهم على حل مسائلهم بأنفسهم أو العثور على الاجابات فى الكتب التى بين أيديهم .

ويعمل هذا الخط الموجود فى مدرسة ثانوية كبيرة فى المدينة بين

الخامسة والثامنة مساء من كل مساء ، وقد استخدمه أكثر من خمسة الآف طالب وطالبة خلال عام واحد ، ويقوم ثمانية أشخاص بالرد على مايقرب من ١٣٠ إلى ١٨٠ مكالمة تليفونية كل مساء .

وفى بعض الأحيان يقدم الخط الساخن برنامجاً تليفزيونياً مدته ساعة واحدة . بين الرابعة والنصف والخامسة والنصف بعد ظهر كل يوم ، ويقوم أخصائيون فى وظائف الدروس المنزلية بجمع أكثر الأسئلة إثارة للاهتمام بالاجابة عليها على الهواء مباشرة بحيث يمكن متابعته الآف الطلاب مرة واحدة .

ويقول أحد المدرسين على الخط الساخن ، فى احدى الأمسيات جاءت المكالمة الأولى من فتاة فى الثالثة عشرة من عمرها تدرس التاريخ ، وقد سألت عن المكان الذى تجد فيه المعلومات التاريخية القديمة ، وجاءت المكالمة الثانية من شخص صغير السن لم يستطع فهم بعض رموز العناصر الكيماوية وجاءت مكالمتان أخريان حول مسائل رياضية .

ويقول أحد المدرسين على الخط الساخن ، إن طفلاً يدرس عن الطيور اتصل وسأل : ما هو الطائر الذى يملك شارباً أحمر ؟ واحتار المدرس فى بادئ الأمر ، ولكنه بحث فى أحد الكتب واستنتج أن الطفل يسأل عن طائر اسمه (النقار الغربى) .

ومما ساعد على نجاح الفكرة ، أن القائمين بالاشراف على الخط الساخن لا يسألون الطلاب عن أسمائهم أو أسماء مدارسهم .. حتى

لا يمنعهم الخجل من توجيه الأسئلة لمدرسيهم أثناء اليوم الدراسى ، وحتى يستطيعون الحصول على المساعدة دون أى إحساس بالخجل .

محلات متخصصة لبيع كتب الأطفال :

.. تمثل القراءة والاستماع إلى القصص إحدى وسائل التسلية لدى الأطفال فى كل مكان فى العالم .. ويوجد فى أنحاء متفرقة من العالم الآن .. اتجاه جديد لبيع كتب الأطفال فى محلات متخصصة .

وتقول صاحبة أحد هذه المكتبات .. إن الاعداد الكبيرة المتنوعة من كتب ومجلات الأطفال التى نوفرها لهم لا يمكن لأى محل لبيع الكتب عامة أن يقدمها بأى شكل من الأشكال .. لقد بلغ عدد الكتب فى هذه المكتبة بين ١٢ ألف و١٥ ألف كتاب ولدينا معرفة كبيرة بكل موضوع من موضوعات هذه الكتب .

إننا نحاول أن نقرأ كل كتاب يصل إلينا ونملك إلى جانب ذلك خبرة كبيرة فى كتب الأطفال ترجع إلى أعوام ماضية .. وكانت صاحبة هذه المكتبة تعمل مدرسة بمدرسة خاصة ، وحين قررت أن تترك مهنة التعليم رغبت فى أن تواصل العمل التجارى فقد أمدتها خبرتها فى أدب الأطفال بالثقة للقيام بفتح مكتبة متخصصة لبيع كتب الأطفال ويمكن لرواد المكتبة أن يجدوا كتباً مصورة وقصصاً وأيضاً مجموعة واسعة من الكتب غير الخيالية والتى تعالج موضوعات مختلفة .

وتقدم المكتبة خدمة أخرى لزبائنها من الأطفال فى فصلى الربيع والخريف من كل عام ، وهى عبارة عن سلسلة من البرامج يعدها مؤلفو كتب الأطفال ورساموها ومن خلال عرضها يقوم هؤلاء المؤلفون والرسامون بزيارة المكتبة لمقابلة الأطفال ومعرفة رأيهم فى البرنامج . إن عدداً كبيراً من الأطفال لم يتعود بعد على شكل هذه المكتبة لأن بها كتباً كثيرة خاصة بهم فقط ومعروضة بشكل جذاب تماماً كما يحدث فى محلات بيع لعب الأطفال .

وبالمكتبة أيضاً ركن جذاب يطلقون عليه اسم (جحر الأرنب) وهذا المكان ملئ بالدمى المتحركة والكتب بقصد أن يتطلع عليها الأطفال بأنفسهم ويختارون ما يروقهم منها . ويعتبر (جحر الأرنب) من أكثر أماكن المكتبة ازدحاماً بالأطفال فى أى وقت من الأوقات .

وفى محل آخر لبيع كتب الأطفال ، يوجد مجموعة كبيرة جداً منتقاة من الأدب الكلاسيكى الخاص بالأطفال ، تلك الكتب التى كان لها شعبية خاصة عند الأطفال فى وقت سابق . إن جميع الكتب معروضة فى واجهات المحال بشكل براق وجذاب كى يتمكن أصغر طفل من أن يرى بلمحة خاطفة الكتب التى تثير اهتمامه .

وتعقد هذه المكتبات (المحال الخاصة لبيع الكتب) ندوات دائمة ومستمرة لأسر الأطفال يقدم أثنائها خبراء فى الأعمال الأدبية الخاصة بالطفل المشورة حول كيفية اختيار الكتاب المناسب . كما تخصص هذه المكتبات عددًا من الساعات الأسبوعية لقراءة قصص

على الأطفال الذين لم يدخلوا المدارس بعد ، وذلك فى عطلة الأسبوع حتى يتمكن الآباء من اصطحابهم .

مع ملاحظة أن أسعار الكتب والمجلات تلائم جميع الأسر والعائلات .

مدرسة ابتدائية ـ أمم متحدة ـ :

طلاب هذه المدرسة هم أبناء طلاب الدراسات العليا فى جامعة (ستانفورد) وأساتذتها الزائرين من كل أنحاء العالم ، بما فى ذلك بعض الدول العربية مثل العراق وبعض بلدان آسيا مثل الصين والاتحاد السوفيتى ، وفى كل عام يلتحق بهذه المدرسة طلاب من ٥٠ دولة ، العديد منها فى حالة حرب مع بعضها البعض أو أن لها تاريخ طويل من النزاع والخلاف .

ومع هذا لم تحصل فى المدرسة خلال السنوات العشر الأخيرة أية مشكلة ترجع إلى أى توتر دولى .

وما قد يحدث فى فترات الراحة بين الصفوف من تناحر أو تبادل الكلام الجارح إنما يكون بسبب الخلاف على كرة للعب ، لا بسبب نزاع فى بلادهم .

والتحدى الذى تواجهه المدرسة ، هو فى وضع أهالى وطلاب من بلدان ذات ثقافات ولغات متعددة فى جو مدرسى اجتماعى مريح . وفى بداية كل عام دراسى تستقبل المدرسة التى يبلغ عدد

طلابها حوالى ٤٠٠ طالب ما بين ١٥٠ و١٧٥ طالباً من بلدان أخرى .

أما مهمة جمع هؤلاء معاً ، فتبدأ قبل وقت طويل من بدء العام الدراسى ، عندما يحضر الأهل طوال أيام الصيف لتسجيل أولادهم . فيجتمع مدير المدرسة معهم شخصياً . ويشرح لهم . نظام التعليم فى المدرسة . كما يشرح لهم برنامج المدرسة ، ومنهجها الدراسى .

ان المشكلة الأساسية التى تواجه المدرسة هى أن طلابها يتكلمون ما بين ٢٥ و٣٠ لغة كما أنه لايوجد برامج تعليمية تدرس بأكثر من لغة واحدة ، لأنه لا يوجد فى أى من الصفوف ، مجموعة كافية من الطلاب تتكلم نفس اللغة .

وينتظر من الطلاب أن يتعلموا الانجليزية على يد معلمين خصوصيين يمكنهم مساعدة الطلاب على فهم المنهج الدراسى بلغتهم الأصلية . ورغم هذه التحديات يبقى المستوى الأكاديمى للمدرسة عاليا ، وللمدرسة سجل ممتاز من حيث أداء طلابها بالمقارنة مع المدارس الأخرى .

إن منهج المدرسة وبرنامجها يعكسان طابعها الدولى ، ففى المدرسة مشرف لمساعدة المدرسين بالإضافة إلى أن الأهل يشاركون المدرسة فى المسئولية بحيث يقومون بشرح معنى الأعياد الوطنية أو الحرف المحلية فى بلادهم .

ويقول مدير المدرسة : إن المدرسة هى بمثابة أمم متحدة مصغرة ، تقوم بأعمال السفراء ومن الممكن أن يصبح هؤلاء الصغار قادة وزعماء فى بلادهم يوماً ما .

الأطفال يختبرون اللعب قبل تسويقها :

.. يتولى اثنان من الأطفال بلغا الثالثة من العمر ، مهمة اختبار اللعب فى مدرسة روضة الأطفال بأحد مصانع البلاستيك للعب الأطفال فى نيويورك .

وفى لعبة (البيت) قام الطفلان باختبارها ، وعندما حان وقت غسيل الأوانى فى الحوض الصغير المصنوع من البلاستيك الأزرق البراق ، قاما بتشغيل آلة ضخ الماء ، وصرخا من الفرحة عندما شاهدا المياه تنزل من الصنبور وبللت المياه شوكة وملعقة وسكينا وطبقا ، ولكن الصغيرين لم يحاولا وضع المقلاة أو غطاءها فى الحوض مرة واحدة .

وعندما عرضت الشركة لعبة (البيت) فى الأسواق بعد ذلك بعامين ، لم يكن للمقلاة وجود ، وكان هناك بدلا منها طاقمان كاملان للمائدة .

وهذا مجرد مثال واحد للأسلوب الذى يمكن أن نستفيد به من الأطفال عندما يقومون بعملية اختبار اللعب التى تنتجها الشركات المخصصة للعب الأطفال ، وادخال تحسينات على اللعب قبل



تصنيعها . وخصوصاً فى اللعب التى تناسب سن ما قبل المدرسة حيث يتجه الأطفال إلى اللعب كنوع من أنواع التسلية والتعلم فى وقت واحد .

وتقدم الشركة التى تستعين بمستشاريها الصغار ، تشكيلة يتجاوز عددها ٢٠٠ لعبة اشتهرت بابتكارها وأمانها ومتانتها بالنسبة للأطفال منذ ولادتهم إلى سن ١٢ سنة ، وتنتشر فى أكثر من مائة قطر فى شتى أرجاء العالم .

ومن بين النماذج التى حازت قبول أطفال العالم ، جهاز تليفون بيع منه ٣٠ مليون وحدة ، والدمى التى هى عبارة عن أشخاص صغار الحجم وقد بيع منها ٥٠٠ مليون .. ولولا رضى الأطفال ـ المستشارين ـ عن هذه الألعاب لما حققت هذه الأرقام الخيالية ، ولذلك فهؤلاء الأطفال يلعبون دوراً رئيسياً فى تحديد اللعب وتحسينها .

هؤلاء المستشارين الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين شهرين وعشرة أعوام ينجزون بمهمة اختبار اللعبة فى روضة الأطفال بالشركة مايعجز الكبار المختصون عن إنجازه .

وتقول مديرة الروضة ، انه يتم فورا تحوير جميع النماذج التى ابتكرها المصممون ووضعت فى روضة الأطفال على أساس تفضيل الأطفال لبعض منها أو قدرتهم على التجاوب معها .

وعلى سبيل المثال أيضاً ، عندما تم اختبار « ورشة عمل » وهى لعبة جديدة ظهرت عام ١٩٨٦ ، ثم تحسنت بها المقابض ، لكى تعمل اللعبة وتتمكن الأنامل الصغيرة من الإمساك بأدوات الثقب والنشر دون عناء .

أما الأطفال الأصغر سناً والذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم فما زال اعتمادهم فى اللعب بعدد من اللعب على شكل أسرة ومشايات يلعبون بداخلها وتحت اشراف أمهاتهن اللاتى يدلين بآرائهن عما يفضله الرضع من ألعاب أكثر من غيرها .

ويشترك أكثر من ٥٠٠ طفل سنوياً فى برنامج روضة الأطفال المجانية لمدة ست أسابيع لكل منهم ، هؤلاء الأطفال لا يحصلون على أجر ، ولكن اللعب بعدد كبير من اللعب والاشتراك فى تطوير لعب جديدة ، عاملان هامان لجذب آلاف المتقدمين الجدد كل عام .

يقوم المهندسون بعمل نماذج تستخدم فى انتاج عدد من اللعب كعينات ، ويؤخذ بعضها إلى المدارس الابتدائية لاختبارها ، ويرسل البعض الآخر إلى أماكن أخرى لإجراء اختبارات التركيز وجذب الأنظار .

بعد ذلك يقوم عمال يقفون على ارتفاعات مختلفة فوق سلم باسقاط اللعبة لاختبار سلامتها .. وعندما تنكسر اللعبة فى نهاية الأمر يجب ألا تخلف أى شظايا صغيرة وحادة أو ذات زوايا مدببة يمكن أن تؤذى الطفل .

من يعرف طفلاً موهوباً .. يبلغ عنه :

تتوفر برامج خاصة بالأطفال الموهوبين فى المدارس العامة فى مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا .

ويوضع الأطفال الموهوبين فى صفوف للدراسة السريعة فى برامج خاصة لمساعدة الأطفال الموهوبين بصفة خاصة ، أولئك الذين لا يتمكن أبواهم من تحمل نفقات تدريب خاص باهظ التكاليف

وتتاح للطالب فرصة دراسة هذه البرامج عن طريق معلمه أو عائلته . ويمكن تقسيم الأطفال (كموهوبين) إلى عدة اتجاهات من بينها الانجاز الأكاديمى ، أو الفنية أو الأدبية أو الإبداعية أو الابتكارية أو تنمية روح القيادة عند الطفل .

وبالنسبة لوالدى الطفل الموهوب ، فان وجود أبناء موهوبين لديهما ، يعنى ضمنا مزيداً من المسئولية لهما ولأطفالهما على حد سواء ، وهنا يترك الآباء أطفالهم الموهوبين .. اتخاذ القرارات لأنفسهم فيما يهمهم من المواضيع الدراسية ، وتقول أم أحد الموهوبين (انه من المهم بالنسبة له أن يختبر النجاح والفشل معا) .

ومن بين نماذج الموهوبين الصغار ، «سليم محمد» يبلغ من العمر ١٣ عاماً ، هو مثل زملائه الأذكياء ، يفكر كالكبار ، وهذا الصغير ينتعل حذاء خفيفاً مصنوعاً من القماش والمطاط ، يتقاضى راتبا أسبوعيا يبلغ ١٠ دولارات بصفته نائب مدير وكاتب حسابات وخبير حاذق فى الكمبيوتر بأحد المصانع .

وعندما أعلن فى نشرة أخبار الموهوبين عن « سليم محمد » ، فقد وصف الخبراء عبقرية هذا الطفل بأن نعمة الموهبة هى مجرد وعد .

وهؤلاء الموهوبين تتراوح أعمارهم بين خمسة و١٤ عاما لديهم عادة معدلات ذكاء وبعد نظر يتعدى ما لدى بالغين كثيرين وشغفا جامحا لتحصيل العلم . ولم يكن هناك الكثير مما لا يستطيع عقل الصغار استكشافه ، ولعل التاريخ يعيد نفسه ، فإن الموسيقار « موتزارت » بدأ يكتب الموسيقى وهو فى الخامسة ، ولا أحد يعرف ما إذا كان هناك بين هؤلاء الأحداث « موتزارت » آخر ولكن هناك ذوو مهارات فائقة مثل عازف البيانو « مايكل » ١٠ سنوات ، وخبير الكمبيوتر (جاسون اينز) ١٥ عاما ، وقد صمم الطفل « سليم محمد » برنامج كمبيوتر للسيارات ، يمكن السائق أينما ذهب من أن يحدد مكانه بالضبط ، كما صمم برنامجاً آخر لمساعدة الأطفال الذين يعانون من التلعثم « التأنى والبطء عند الأطفال فى الحديث » .

إن ما يقوم به هؤلاء الموهوبين الصغار ، يمكن أن يكون مبشراً بما سيكون عليه المستقبل وذلك حسبما يقول الخبير النفسى (روبرت سيزر) وقد أعدت إحدى الجامعات وهى جامعة (جون هوبكنز) برنامجاً للبحث عن ذوى المواهب ، بقصد الحاقهم بصفوف خاصة بها .

وكان من نتيجة هذا أن ارتفع عدد المدارس الصيفية الخاصة

بالموهوبين ارتفاعاً كبيراً . إذ قفز من ١٠ مدارس إلى ٣٠٠ مدرسة فى فترة لا تزيد عن خمسين عاماً .

وقد خصصت وزارة التعليم فى المدن الأوربية مبلغاً فى الانفاق على ذوى العبقريات وتحسين برامج الموهوبين فى القطاعات المدرسية العامة .

أجهزة الكمبيوتر في غرف المدرسة

ما هى الصورة التى ستكون عليها المدارس فى المستقبل ؟

.. الحقيقة أن جانباً كبيراً من التعليم الذى تعودنا عليه فى المدارس .. يمكن فى المستقبل أن يتم استيعابه وتلقيه فى البيوت .. عن طريق أجهزة الكمبيوتر .. بالإضافة إلى أن المدارس نفسها ستضم عدداً أكبر من أجهزة حديثة للكمبيوتر .. وسيتعلم المدرسون كيفية استخدامها بطريقة مبسطة بحيث تؤدى المهمة التعليمية فى وقت محدود .. ينصرف بعده التلاميذ إلى الأنشطة التى يميلون إليها ويؤدونها بقدر كبير من الحب والاهتمام .

وكانت هذه التنبؤات قد نوقشت فى مؤتمر انعقد لمدة ثلاثة أيام بولاية « تكساس » اشترك فيه أعدادا كبيرة من المربين وأمناء المكتبات وممثلون عن صناعة التنكولوجيا المتقدمة .

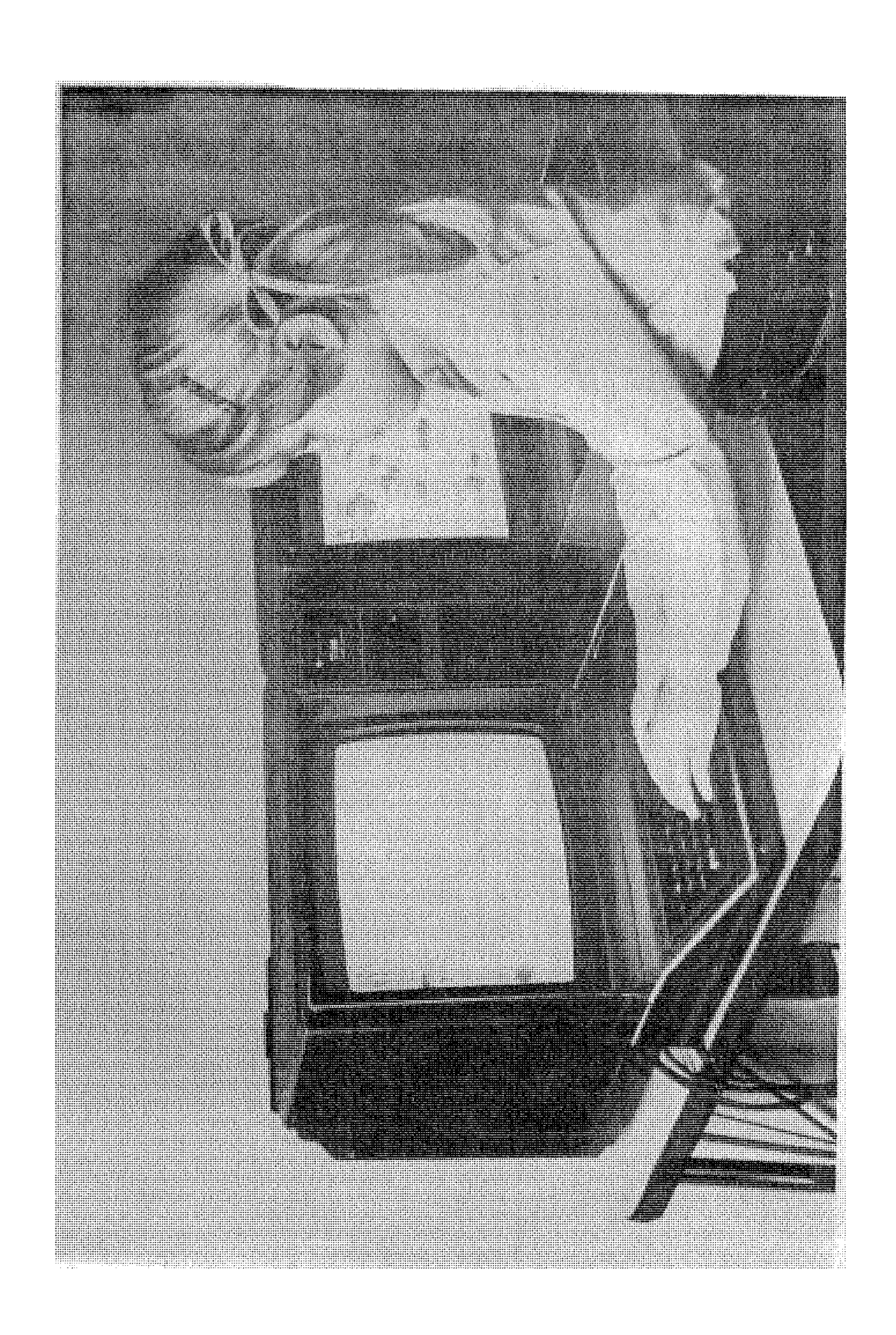
والمهم أن المشتركين فى المؤتمر اتفقوا فيما بينهم على حقيقة أساسية هى أن التقدم فى العالم يعنى ـ بالدرجة الأولى ـ إنشاء نظام تربوى .. يتعلم فيه التلاميذ كيف يستخدمون الآلات الحديثة فى الأعمال التى تتطلب جهداً مشتركاً بين التلميذ والآلة .

وفى الوقت الذى يتولى فيه الإنسان الآلى القيام بدور كبير فى الأعمال التى يمكن برمجتها حتى يتمكن من أدائها بشكل متقن .. سيكون على التلاميذ عبء تطوير مهارات معينة يستكملون بها أعمال الإنسان الآلى مثل التذليل والتعرف على المشاكل واتخاذ القرارات وامكانية التكيف مع المواقف غير العادية .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف .. سيتم الغاء كل أجزاء المنهج الدراسى التى تتضمن مقاييس معيارية للذكاء .. وستصبح الأنشطة الحرة أساس المهارات الضرورية لخلق ثقافة جديدة .

وبذلك يكون على رجال التعليم فى المستقبل تعليم الطلاب استخدام الكمبيوتر بحيث يتعودون ـ بالتدريج ـ على تلقى العلم من خلال شاشة الكمبيوتر لأنهم يحبون مشاهدة التليفزيون .

إلا أن المشكلة الحقيقية التى تواجه المدرسون هى مدى تأقلمهم بالسرعة المناسبة على العملية التعليمية بحيث تصبح أكثر فعالية . وتتيح للطلاب فى المستقبل فرصة مناسبة لكى يتعاملوا مع الكمبيوتر بشكل أكثر سهولة بحيث تسقط ـ نهائياً ـ الحواجز المفتعلة بين البيت والمدرسة .



والجدير بالذكر أن الكمبيوتر سيستخدم فى تعليم التلاميذ الذين يعانون صعوبة فى القراءة .

ويؤكد (ستانلى بوعرو) الأستاذ بجامعة (أريزونا) .. « أن تعليم الأطفال كيفية استخدام الكمبيوتر سيؤدى إلى تحقيق الفائدة بالنسبة للتلميذ المتوسط .. بالاضافة إلى الإفادة التى سيحصل عليها المعلم نتيجة تعلم وسائل جديدة للتدريب على المهارات الأساسية .

لقد أصبح من المألوف أن يمتلك الطلاب والتلاميذ أجهزة كمبيوتر داخل المنازل تماماً كما هو موجود بالنسبة للتليفزيون والتليفون .

بل إنه أصبح من المألوف أن تشترط الجامعات فى عدد كبير من دول العالم على الطلاب الذين يريدون الالتحاق بها امتلاك أجهزة كمبيوتر كشرط أساسى للالتحاق .. ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أن أصبح فى إمكان الطلاب الحصول على أجهزة كمبيوتر بسعر مخفض خاص بهم .. فضلا عن أن مكتبات كل كلية جامعية أصبحت مخازن لأجهزة الكمبيوتر .. لكى يسهل على الطلاب عملية شراء الأجهزة دون عناء البحث عنها فى أماكن أخرى .. على اعتبار أن استعمال الكمبيوتر داخل المدارس والجامعات أصبح أمرا لا مفر منه قبل حلول عام ٢٠٠٠ » .

المراجع العربية :

* كيف يلعب الأطفال للمتعة والتعلم .. سلسلة دراسات سيكولوجية .. تأليف جان شلك جروسمان وايد اليشان .. ترجمة محمد عبدالحميد أبوالعزم .

* العلاج النفسى الجماعى للأطفال باستخدام اللعب .. د . كاميليا عبدالفتاح .

* الأسرة وسلوك الطفل .. د . انتصار يونس .. د . أحمد العادلى .

* التخطيط لرعاية الطفولة المبكرة .. وتربيتها فى البلدان النامية ـ مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى الدول العربية .. عام ١٩٨٠ .

* اللغة والطفولة .. د . صالح الشماع .

* دور المكتبة فى تنمية اعادة القراءة عند الأطفال ـ يعقوب الشارونى .

* الطفل المصرى فى اطار الرعاية الصحية والنفسية .. دراسة ـ جامعة الاسكندرية .

* الطفل بطىء التعلم
* البطولة فى القصص الشعبى ـ د. نبيلة ابراهيم سالم .. دار المعارف .
* الطفل والوراثة ـ برنيس ل ـ نيو جارتن .. سلسلة دراسات سيكولوجية ـ ترجمة د. ابراهيم حافظ .
* اتجاهات معاصرة فى كتب الأطفال ـ تأليف أحمد نجيب .
* تقويم مدرسة الفصل الواحد ـ بحث ميدانى ـ عن المركز القومى للبحوث التربوية بالتعاون مع مركز البحوث التنمية الدولية .
* الحدوتة والحكاية فى التراث القصص الشعبى ـ تأليف محمد فهمى عبداللطيف .
* اللغة والمجتمع ـ ثريا عبدالله .
* التراث الشعبى ـ د. عبدالحميد يونس .
* التخطيط للتربية والتعليم ـ تأليف محمد على حافظ .
* الواجبات المدرسية والاستذكار الموجه ـ تأليف روث سترانج ـ ترجمة د. جابر عبدالحميد صابر .
* تقويم التلميذ وتقدمه ـ تأليف جون روثنى .. ترجمة د. محمد نسيم رأفت .
* العمليات الجماعية فى المدارس الابتدائية ـ تأليف لويس سميث .. ترجمة د. ابراهيم خليل شهاب .
* تنظيم الفصول الدراسية للتعليم ـ تأليف دين رايتستون .. ترجمة د. السيد محمد سليمان شعلان .
* رعاية الطفل المعوق ـ عبدالتواب يوسف ـ دار المعارف .

فهرس

* نادية يوسف أمين حمزة .

* صحفية بدار التحرير .

* للمؤلفة كتاب (أطفالى الأعزاء .. شكراً) . ١٩٨٦

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٩٣/١٩٨٨

ISBN ٩٧٧ - . ١- ١٧٢٧ - ٧